الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: ..... /.....

الفصـــــــــــاحة بين النحّـــاة و البلاغييـــن

ابن جنّي (الخصائص)و عبد القاهر الجرجاني(دلائل الإعجاز)

-عيّنة-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: لغة عربية

إعداد الطالبتين:

*- علجية بن عياش
*- فاتِـــن بربـــاش

إشراف الأستاذ:

* سليم عواريب

السنة الجامعية: 2014/2013

الحمد لله الذي أنطق لسان الإنسان ، فأفصح بعجيب البلاغة و سحر البيان و الصّلاة و السّلام على من تبّوأ من الفصاحة ذروتها و على آله و صحبه ، ومن سار على نهجه و اقتدى بهديه إلى يوم الدّين و بعد :

الفصاحة لغة واصطلاحا و مفهوما – بمعزل عن البلاغة و مدلولاتها – كانت همّ اللّغويين القدماء في القرون الهجرية الأربعة الأولى ، وكان من بينهم أبو الفتح ابن جنّي (ت 392 هـ) ، وقد ألحّ على هؤلاء التساؤل التالي : أيّ لغات العرب الأفصح ؟ بل أيتها التي تصلح أن تكون حجّة في استقراء قواعد " العربية الفصحى " .

و لقد تنبه اللّغويين الأوائل إلى أنَّ العربية الفصحى تتبع من ثلاثة مصادر رئيسية في القرآن هي : القرآن الكريم و أقوال الرّسول صلىّ اللّه عليه وسلّم و الشعر العربي الجاهلي و كان هدفهم هو حراسة الفصحى لغة القرآن ، و هذا الهدف الديني هو الذي ارتبط بأذهانهم و أذهان من خلفهم من علماء العربية ، وهو الذي جعلهم يضعون الشروط و القواعد ، بل القيود لحماية الفصحى ، فكانت القيود الزمانية و المكانية ، و هي المسماة بعصور الإحتجاج ، فليست كلّ لهجة عربية تُعدُّ فصيحة ، و ليس كل أبناء كلّ عصر يعتبرون فصحاء .

ثم يأتي دور الفصاحة في القرن الخامس للهجرة و التي خاض غمارها درسا و تحليلا غير واحد من الدّارسين ، ويظهر أنّ علماء الكلام كان لهم النّصيب الأكبر في " الجدل " الذي دار حول دلالة الفصاحة ومفهومها ، إذ نجد أنّ الحديث عن الفصاحة يتمحور حول بلاغة القرآن الكريم ، و إعجازه في عدد من المؤلّفات مثل : كتاب إعجاز القرآن للبقلاني (ت 403 هـ) ، والجزء السّادس عشر الذي خصّص لإعجاز القرآن من كتاب القاضي عبد الجبّار الأسد آبادي المعتزلي (ت 415 هـ) ، " دلائل الإعجاز" و " الرسالة الشّافية" في إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني الأشعري (ت 471 هـ).

إنّ الدّارس لهذه المؤلفات ليرى مدى اعتماد بعضها على بعض ، بل مناقشة بعضها بعضا في النّظرة إلى " الفصاحة " و علاقتها بموضوع " إعجاز القرآن " ، وسبب اختيارنا لموضوعنا و الموسوم بـ " الفصاحة بين النحّاة و البلاغيين " هو حبّ المعرفة و الاطلاع على هذا المبحث الذي تناوله علماء أجلاّء من علماء العربية باختلاف عصورهم ، وقد وقع اختيارنا على العَلَمَيْن الجليلين أبو الفتح ابن جنّي كنحوي من خلال كتابه " الخصائص " و عبد القاهر الجرجاني كبلاغي من خلال كتابه " دلائل الإعجاز " (عيّنة) ، فما المقصود بالفصاحة ؟ وكيف كانت نظرة كل من المتقدمين و المتأخرين لها ؟ و ما هي أنواعها ؟ و ما هي الزاوية التي نظر من خلالها ابن جنّي للفصاحة ؟ و فيما تتمثل نظرة عبد القاهر الجرجاني لها ؟

وقد اعتمدنا منهجا يتناسب مع هذا النّوع من الدراسات هو المنهج الوصفي التحليلي مستندين في ذلك على المنهج التاريخي الكرونولوجي في رصد نظرة العلماء للفصاحة و كذلك رصد حياة كل من ابن جنّي و عبد القاهر الجرجاني ، أمّا بنية البحث فتشكلت من ثلاثة فصول و خاتمة تتصدّرهما مقدّمة و تمهيد ، تحدثنا في التمهيد عن علاقة النحو بالبلاغة .

أمّا الفصل الأول و الموسوم " بمفاهيم أولية في الفصاحة " فقد تناولنا فيه الفصاحة لغة واصطلاحا ثم انتقلنا إلى أنواعها .

الفصل الثاني : المعنون بـ " الفصاحة عند ابن جنّي في كتابه الخصائص " ، عّرفنا أبا الفتح ابن جنّي أوّلا من خلال (ترجمة حياته ، ثقافته و علمه ، مؤلفاته وآثاره ، أقوال العلماء فيه) .

ثانيا : التعريف بكتابه " الخصائص " من خلال (سبب التسمية ، السبب في تأليفه و الهدف منه ، مباحثه ، منهجيته) .

ثالثا : تناولنا الفصاحة كما يراها ابن جنّي .

الفصل الثالث : تحت عنوان " الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني " من خلال كتابه " دلائل الإعجاز " ، عرضنا من خلاله .

أولا : عبد القاهر الجرجاني (من خلال ترجمة حياته ، ثقافته وعلمه ، مؤلفاته و آثاره أقوال العلماء فيه) .

ثانيا : التعريف بكتابه " دلائل الإعجاز " من خلال (سبب التسمية ، السبب في تأليفه و الهدف منه ، مباحثه ، منهجيته) .

ثالثا: الفصاحة كما يراها عبد القاهر. وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها و قد إعتمدنا في هذا الموضوع عدّة مصادر و مراجع تنوعت بين القديم و الحديث أهمّها " دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني ، " الخصائص " لابن جنّي علم أصول النحو و مصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جنّي " لسليم عواريب " جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع " لأحمد الهاشمي " ، نظرية النّظم وقيمتها العلمية " لوليد محمّد مراد " ، إضافة إلى المصادر و المراجع الأخرى التي أثرت بحثنا ومن طبيعة الأمور أن كلّ بحث لا يخلو من الصعوبات و هذه الصعوبات لا تخرج في مجملها عن تلك التي يمكن أن يلقاها أيّ باحث ، وتتمثل في صعوبة تحليل بعض المواد في الكتب التراثية و دراستها ، إضافة إلى كثرة الآراء حول هذا الموضوع حيث تعذر الإلمام بها كلّها ، إضافة إلى صعوبة أو استحالة مواكبة مختلف الأبحاث التي تندرج ضمن أو حول هذا الموضوع أو ما قاربه للإستشارة بآرائها ونتائحها .

وأخيرا لا نزعم بأننّا قد بلغنا الكمال في هذه الدراسة و أنّنّا أتينا بما لم يأت به الأوائل ، و إن كان لنا الفضل فيعود إلى منهجنا في الدراسة ، و قد بذلنا جهدا في هذا المضمار من أجل أن ننهي هذا البحث في أوانه ، كما ننوّه بأستاذنا المحترم " سليم عواريب" الذي أمدّنا بيد العون بتوجيهاته السديدة و أفكاره الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة .

كان لنزول القرآن الكريم الفضل الكبير في نشأة العلوم وتطوّر الفكر عند العرب و المسلمين ، فقد دعا القرآن إلى العلم و البحث ، و أمر العقل بالنظر و التدبّر ، وحثَّ الإنسان على الاجتهاد و نَبْذِ التقليد ، وكان لتوجيهاته الأثر الكبير في سطوع شمس الحضارة ، واتجاه المسلمين نحو الاهتمام بالعلوم و الفنون و الثقافات المختلفة ، فكان أن انتشرت الكتابة واتسعت دائرة التدوين ، وبدأت العلوم تَأْخُذ طابعاً منهجيا سليما شيئاً فشيئاً لاسيما بعد الفتوحات الإسلامية ، وما نتج عنها من انفتاح على الحضارات الأخرى ، فكان أن وضعت المبادئ و الأصول لمختلف العلوم منذ القرن الأول الهجري وبالخصوص تلك المتعلقة بالقرآن الكريم ، و الحديث النَّبوي الشَّريف ، واللغة العربية الفصحى ، وفي القرن الثاني للهجرة بدأت اللغة العربية تشهد إنتاجا علميا و مؤلّفات أصيلة في مختلف العلوم والفنون .

فالقرآن الكريم هو التربة الخصبة ، والمنطلق الذي مهّد لعلوم كثيرة ، هدفها الواحد والوحيد هو فهم القرآن الكريم و الحفاظ عليه من اللَّحن و من بين هذه العلوم : علم الفقه علم الكلام ، علم الحديث ، علم النحو ، علم البلاغة ، وسنفيض الحديث في العلمين الأخيرين باعتبارهما مجال بحثنا و سنعرج بداية على علم النحو الذي يعرفه ابن جنّي(ت392هـ) بقوله : «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب و غيره كالتثنية و الجمع و التحقير و التكسير و الإضافة و النّسب و التركيب و غير ذلك ، ليلحق من ليس من اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها ، و إن لم يكن منهم ، أو إن شذ عنها بعضهم ردّ به إليها و هو في الأصل مصدر شائع ، أي نحوت نحوا ، كقولك قصدت قصدا ثم خُصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم»[1] فعلم النحو من أسمى العلوم قدرا و أنفعها أثرا ، به يتثقف أود اللّسان و يسلس عنان البيان وقيمة المرء تحت طي لسانه لا طيلسانه، و لقد صدق إسحاق بن خلف البهراني

[1]– الخصائص : ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ط.2 . 1371 هـ – 1952 م ج.1 .ص. 34 .

في قوله :

النَّحْوُ يَبْسِطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ وَ الْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

وَ إِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُـــنِ.[1]

وبه يسلم الكتاب و السنة من عادية اللّحن والتحريف ، وهما مرئل الدّين و ذخيرة المسلمين ، فكان تدوينه عملا مبرورا ، وسعيا في سبيل الدّين مشكورا و به يستبين سبيل العلوم على تنوع مقاصدها ، وتفاوت ثمارها .

والبلاغة علم لا يقل أهمية عن علم النحو ، فهي العلم الذي يُعنى بتجويد الكلام من أجل توصيله واضحا إلى الأذهان ، وهي التي تمده بالجمال الذي يؤثر في العقول و القلوب فالبلاغة بمثابة السحر الحلال الذي يكون له من السّلطان و قوة الإقناع و التأثير في نفوس المخاطبين ، ويذكر الجاحظ أحسن ما توصل إليه من تعريفات العرب للبلاغة : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك »[2]

و لا يختلف اثنان في أنّ هناك علاقة وطيدة بين النحو و البلاغة باعتبارهما ـ كما قلنا سابقاـ علمين من علوم العربية التي استقت مادتها من معين واحد ، تحقيقا لهدف جليل هو صون القرآن من اللّحن و محاولة فهمها و تفسيرها ، ثم بيان إعجاز هذا الكتاب الذي تنزل بها .

و هذه العلاقة تفطن إليها كوكبة من علمائنا القدامى و المحدثين و أشادوا بأهميتها و بينوا قيمة هذا المنهج في دراسة علوم العربية و حاولوا تطبيقه و ممارسته في مباحثهم .

فالمتقدمون من النّحاة كسيبويه و أمثاله جعلوا مستويين للدراسة النحوية فكان :

[1]– ينظر عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج.2.ص.157.

[2] – البيان و التبيين:الجاحظ، تح : عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر، ط.7 .1418هـ – 1952 م ج.1 .ص.34.

« المستوى الأول يتمثل في رصد الصواب و الخطأ في الأداء ، أما المستوى الثاني فيتجاوز هذا المجال إلى ناحية الجمال و الإبداع ، و لم يكن المستوى الأول إلا تلك القواعد المجرّدة استند فيها النحويون إلى كلام العرب الفصيح المنقول نقلا صحيحا ....، أما المستوى الثاني فكان يتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل، فاللغة العربية ذات سمات و خصائص اهتم لها النحويون القدامى أمثال سيبويه و غيره ، كما اهتموا بالتراكيب، وأدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها » [1]

فهذا القول يحيلنا إلى أنّ النّحاة المتقدمين لم يفصلوا النحو عن البلاغة بل اعتمدوا في دراساتهم النحوية على مستويين : التركيبي و الجمالي ، باعتبار أن النّحو يتناول الأسلوب من ناحية التكوين و ضبط الكلمات و البلاغة تتناوله من جهة ما يتحقق فيه من قيم جمالية و فنية تجعله مطابقا لما دّل عليه، و هو ما يعرف عند البلاغيين بمطابقة الكلام لمقتضى الحال .

و نظرة عبد القاهر الجرجاني لا تبعد كثيرا عن نظرة النحاة المتقدمين من خلال نظرية النظم ، إذ يقول أحمد سعد محمد في ذلك : « و ليس منا ببعيد ما فعله عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، وهو يقيم دعائم نظريته في النظم ، بل طالما يتردد على الأذهان إلحاحه على الربط بين النَّحو ومعانيه » [2]

و يظهر أكثر من خلال قول عبد القاهر : « و أن ليس النّظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه " علم النَّحو " ، وتعمل على قوانينه ، وأصوله ، وتعرف مناهجه التي

[1] – البلاغة و الأسلوبية : محمد عبد المطلب ، إشراف : محمود علي مكي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ط.1 . 1994 م ، ص .38.39.

[2] – الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي : أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط.2 . 1430 هـ – 2009 م ص.15.

نهجت ، فلا تزيغ عنها و تحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في نحوه كل باب و فروقه ...» [1]

فعبد القاهر يرى أن النّحو و البلاغة عنصران مترابطان و ضروريان لفهم اللغة و أنّ دارس البلاغة لا بدّ له من التعمّق في علم النحو و قد أكدّت نظريته على عدم الفصل بينهما فهما: « متلازمان كما تتلازم الفائدة و الإسناد في الكلام » [2]

و نرجع التشابه القائم بين النحاة المتقدمين و عبد القاهر إلى أن هذا الأخير كان نحويا قبل أن يكون بلاغيا، و يظهر ذلك من خلال مؤلفاته النحوية كـ" المغني " الذي يحتوي ثلاثين مجلدا، خصصه لشرح كتاب الإيضاح في النحو لأبي الفارسي...

ولما كان منطلق علوم العربية واحدا، كان لابد أن تكون علاقة تأثر و تأثير بين علومها فكما تأثر النحو بالبلاغة ، كان : « بديهيا أن تفيد البلاغة في بناء أصولها من علوم العربية كافة و بخاصة النحو، حتى أصبحت البلاغة لحمة البحث النحوي و سُداه ، و قد تبدت طبيعة العلاقة بينهما من اعتماد البحث البلاغي على الأصول المعرفية التي انطلق منها النّحاة في دراساتهم مع اختلافها في النظرة و التناول » [3]

وهذا مثال يوضح ذلك ، فالنّحاة اهتموا بالجانب المثالي للغة ، و حددوا لذلك رتبا وجعلوها محفوظة و غير محفوظة ، فمثلا في مبحث " التقديم و التأخير " ، فالترتيب في الجملة الفعلية يكون فيها الفعل أولا ، يليه الفاعل ثم المفعول إن وجد ، وكذلك في الجملة الاسمية المبتدأ ثم الخبر (هذه رتبة محفوظة) .

أمّا إذا تقدم المفعول على الفاعل ، أو الخبر على المبتدأ (رتبة غير محفوظة)

---

[1]– دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.5 . 2004 م ص . 81 .

[2]– التراكيب النحوية و سياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني : صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994. ص. 147 .

[3]– الأصول البلاغية في كتاب سيبويه : أحمد سعد محمد ، ص . 17 . 18 .

و هذا ما اهتم به البلاغيون في (علم المعاني) ، و « تجنّبوا الكلام في الرتبة المحفوظة لأنّها ليست فِطنة اختلاف الأساليب بسبب حفظها و ثبات وضعها ، وعمدوا إلى الرتبة غير المحفوظة فمنحوها دراسة أسلوبية هامة تحت عنوان التقديم والتأخير و معنى هذا أنّ التقديم و التأخير البلاغي وثيق الصلة بقرينة الرّتبة في النحو ، ولكنّه لا يمس الرتبة المحفوظة لأنها محفوظة لا تختلف عليها الأساليب»[1]

كما أنّنا نرى البلاغيين يقبلون قبول التسليم أهم مبدأ من مبادئ النّحاة و هو ما يسمّى " بأصل الوضع " الذي يتعلق عند النّحاة بـ " التركيب الجملي " سواء أكان مرتبطا بنمط التراكيب (أي بنيتها في صورتها التامّة التي تتضمن الذكر و الإظهار وغير ذلك) أم كان مرتبطا بالعلاقات الداخلية و القرائن الدالة على المعاني المفردة فيها ، و يتضح ذلك فيما يأتي : أ – قرر النّحاة أن الأصل في كل جملة أن يكون لها ركنان أساسيان لابد منهما في تكوينها و هما : المسند إليه و المسند ، وأن يكونا مذكورين ظاهرين ، لا محذوفين و لا مضمرين . ب – أقر النّحاة أيضا أصولا في الرتبة و التضام [2] من مثل ما ترى في ذلك في حديثهم عن الذكر و الحذف و الإظهار و الإضمار ، وزيادة الحرف و الفصل بين المتلازمين و غيرها ، وقد سار البلاغيون على هذا النهج فقالوا:

أ)– إن الأصل في الخبر أن يلقى لأحد عرضين : إفادة المخاطب الحكم أو إفادته علم المتكلم بالحكم ، ب)– أن الاستفهام أصل معاني الهمزة ، ج)– أن الأصل في التعجب الاستفهام ، و غيرها من الأصول [3]

وكذلك في مبدأ (العدول عن الأصل) الذي قال به النّحاة و الذي قد تخرج إليه بعض الأساليب و الأدوات ، و نجد للبلاغيين موقفا مشابها لهذا في قولهم مثلا قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها ، فيُسْتَفْهَمُ بها عن الشيء مع العلم بها لأغراض تستفاد من

[1]– الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : تمام حسان ، هيئة الكتاب ، 1982 م ، ص. 346 .

[2]– اللغة العربية، معناها و مبناها: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص. 216.

[3] –ينظر الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ، ص. 18.19 .

سياق الحديث و دلالة الكلام ، أهمها : الاستبطاء :[1] نحو قوله تعالى : ﴿ **وَزُلْزِلُوا حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ و الّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ** ﴾ **[البقرة : 214]**

الأمر: نحو: أتصون يدك عن الأذى ؟ و غيرهما من الأغراض [2] فقد : « استفاد البلاغيون إذا من أصول النحو و قواعده ، ووظفوها توظيفا بلاغيا مهتدين في ذلك بصنيع النحاة في التقديم و التأخير و الذكر و الإظهار ، والحذف ، و الإضمار و الفصل و مسائل التعريف و التنكير و غيرها » [3]

و خلاصة القول أن العلاقة بين النحو و البلاغة علاقة وثيقة لا يمكن فصلها بسبب تلازمها فكل منهما يكمل الآخر ، فعلماء النحو في دراستهم النحوية اهتموا و جمعوا المستويين التركيبي و الجمالي و كذلك علماء البلاغة وجّهوا عنايتهم بدراسة النحو جنبا إلى جنب مع دراستهم للبلاغة ، موضحين مكانة النحو في قوة الأسلوب و أثر البلاغة في فنيته و سلاسته و جماله .

---

[1]– ينظر الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ، ص. 19.

[2]– ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط . 8 ، ج.2 ص. 33 . 34 .

[3]– الأصول البلاغية في كتاب سيبويه ، ص . 19 .

1)- الفصاحة لغة :

الفصاحة في لسان العرب من الفعل فصح، قال ابن منظور: « الفَصَاحَةُ : الْبَيَانُ فَصُحَ الرَّجُلُ فَصَاحَةً ، فَهُوَ فَصِيحٌ مِنْ قَوْمٍ فُصَحَاءْ وَ فِصَاحٍ وَفُصُحٍ ... وفَصُحَ الأَعْجَمِيُّ بِالضَمِّ ، فَصَاحَةً : تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَةِ وَفُهِمَ عَنْهُ ، وَقِيلَ : جَادَتْ لُغَتَهُ حَتَّى لَا يَلْحَنْ ...، يُقَالُ : مَا كَانَ فَصِيحًا وَلَقَدْ فَصُحَ فَصَاحَةً وَهُوَ الْبَيِّنُ فِي اللِّسَانِ وَالْبَلاَغَةِ ....، وَفَصُحَ اللَّبَنُ إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ ، وَأَفْصَحَتِ الشَّاةُ وَالنَّاقَةُ إِذَا انْقَطَعَ لَبُؤُهَا ، وَأَفْصَحَ الصُّبْحُ : بَدَا ضَوْءُهُ وَاسْتَبَانَ ، وَكُلُّ مَا وَضَحَ ، فَقَدْ أَفْصَحَ ، وَكُلُّ وَاضِحٍ : مُفْصِحٌ». [1]

وفي القاموس المحيط: « الْفَصْحُ وَ الْفَصَاحَةُ : الْبَيَانُ ، فَصُحَ كَكَرُمَ ، فَهُوَ فَصِيحٌ وَ فَصْحٌ مِنْ فُصَحَاءَ وَ فِصَاحٍ وَ فُصُحٍ ، وَ هِيَ فَصِيحَةٌ مِنْ فِصَاحٍ وَ فَصَائِحَ ، أَوِ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ : مَا يُدْرَكُ حُسْنُهُ بِالسَّمْعِ ، وَفَصُحَ الأَعْجَمِيُّ ، كَكَرُمَ : تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَةِ ، وَفُهِمَ عَنْهُ أَوْ كَانَ عَرَبِيًّا فَازْدَادَ فَصَاحَةً ، وَأَفْصَحَ تَكَلَّمَ بِالْفَصَاحَةِ » [2]

أمّا في التنزيل فقد وردت " الفصاحة " في قوله تعالى – حكاية عن نبيه موسى عليه السّلام- :﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا** ﴾ **[القصص : 34]** .

وفي الحديث النّبوي الشّريف، قوله صلّى الله عليه و سلم: « أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشَ ».

لفظة " الفصاحة " في كتاب الله و حديث الرّسول العظيم لا تخرج عن معناها اللّغوي و هو الظّهور و البيان.

و المعنى اللّغوي الذّي يستفاد من تلك المعاني هو البيان و الظّهور الذّي هو ضدّ اللّبس و الغموض.

---

[1]- لسان العرب :ابن منظور ، ضبط و تحقيق : خالد رشيد القاضي ، دار الصبح و إيديسوفت، بيروت ، لبنان ،ط.1 . 1427 هـ -2006 م ج. 10. ص. 257.

[2]- القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي بيروت ، لبنان ، ط.8 ص. 234 .

2) – الفصاحة اصطلاحا :

إنّ لفظ " الفصاحة " قديم قدم الإنسان العربيّ ، فهذا الأخير منذ ظهوره التصقت به صفة الفصاحة التّي و بالرّغم من أنّها أوّل المصطلحات البلاغية ظهورا إلّا أنّها تعتبر من آخرها استقرارا و ثباتا ، وسبب ذلك اختلاف مفهوم الفصاحة بين الأوائل ، فقد مرّت كلمة " الفصاحة " بعدد من المراحل حتّى استقرّت على معناها الاصطلاحي ، الذّي بدأ يتشكّل عند ابن سنان الخفّاجي و هي تعني عند الأوائل :« خصوصية تدلّ على جودة الكلام ومدارها على مدى الإبانة ، والبعد عن العجمة و التمكّن من استعمال اللّغة، ونجاح الأديب أو إخفاقه يتوقّف على مدى توافر هذه الخصوصية في نتاجه الأدبي»[1]

والجاحظ لم يخرج في تعريفه للفصاحة على القدماء ، فهو لم يعط " الفصاحة " معنى اصطلاحي محدد ، وقد استعملها في مواضع كثيرة ، نذكر منها قوله : « ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ، رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه » [2] ، وقوله عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم » [3]

فالفصاحة عنده تكون وصفا لمخارج الحروف و تكون و صفا للمعنى كما تكون وصفا للبيان ، وكلها داخل في معنى الإبانة و الخلوص .

و لقد حددت الدّلالة الاصطلاحية لكلمة " الفصاحة " إلّا مع بداية الفصل التام بين اللّفظ و المعنى ، الذّي يبرز في ميدان الدراسات البيانية ، عندما ظهر المتكّلمون ، و اشتد النّزاع حول حقيقة الإعجاز .

---

[1]– مقاييس البلاغة بين الأدباء و العلماء : حامد صالح خلف الربيعي ، مكتبة الملك فهد الوطنية السعودية 1416 هـ – 1996 م . ص . 464.

[2] – البيان و التبيين : الجاحظ ، تح :عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج . 3. ص. 292 .

[3]– المصدر السابق ، ج. 1 . ص . 110 .

ومن ذلك الحين « سار مصطلح " الفصاحة " في اتجاهين مختلفين، أحدهما عند أنصار اللفظ، يستعملونه في ما يتعلق بالألفاظ، و الآخر: عند أنصار المعنى ، وأنصار اللفظ و المعنى معا ، حيث يتجهون به إلى النظم » [1] .

وخير من يمثل الاتجاه الأول أبو هلال العسكري وابن سنان الخفاجي فهما يميزان بين الفصاحة و البلاغة ، ويجعلان لكل منهما مدارا خاصا ، فالفصاحة للفظ و البلاغة للمعنى فيقول العسكري في تعريفه للبلاغة عن الفصاحة في مقدمته : « و قد علّمنا أنّ الإنسان إذا أعقل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف و براعة التركيب ، و إنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه و قصورهم عن بلاغ غايتهم في حسنه و براعته و سلاسته و نصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء ألفاظه » [2] .

فأبو هلال يفرق بين " البلاغة " و " الفصاحة " فيردّ حسن التأليف إلى " البلاغة " ويردّ براعة التركيب إلى " الفصاحة " ، ويبدو لنا أنه يردّ " إعجاز القرآن " إلى حسن تأليف الألفاظ و براعة تركيبها ، فهو من أنصار القائلين بأن إعجاز القرآن يكمن في لفظه بالمقابل هناك من يردون " إعجاز القرآن " إلى عجز العرب عن الإتيان بمثله .

ثم بعد ذلك وقع في التناقض بإرجاعه " الفصاحة " و " البلاغة " إلى معنى واحد بقوله :« الفصاحة و البلاغة ترجعان إلى معنى واحد ، و إن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى و إظهاره له » [3].

إلّا أنّه بعد ذلك تدارك ذلك مبينا أوجه الاختلاف ، جاعلا ، لكلّ ميدانه و يظهر ذلك

---

[1] – مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء . ص . 466 .

[2] – كتاب الصناعتين (الكتابة و الشعر) : أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبوالفضل ابراهيم عيسى البابي الحلبي و شركاؤه. ط.2.(دت). ص . 9 . 10 .

[3] – المصدر السابق . ص . 16 .

من خلال قوله : « قال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ، فلهذا لا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة و يوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان ، و الدليل على ذلك أن الألثغ و التمتام فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف ...، فعلى هذا تكون الفصاحة و البلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، و البلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى» [1]

فالفصاحة عنده تختص بالألفاظ و خصائصها النوعية التي تؤدي أداءا بيانيا للمعنى أمّا البلاغة فتختص بالتأثير الذي يحدثه البيان عند المتلقي ، فالبلاغة مبنية على الفصاحة والفصاحة مبنية على حسن الألفاظ ، و هو يقول في ذلك :« ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ و البلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحا و لا يسمى بليغا إذ هو مقيم الحروف و ليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه ، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ ، جيّد السّبك ، غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من الاسمين شيء ، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف»[2].

فسهولة اللفظ ووضوح الدلالة و الجزالة ، وجودة السّبك ، وكل ما يتعلق باللفظ عند العسكري شرط لتحقيق معنى الفصاحة التي يعتبرها شرطا للبلاغة ، وقد كان الطريق الذي سلكه أبو هلال العسكري في ربطه الفصاحة للفظ المنطلق لابن سنان الخفاجي الذي :

[1] – كتاب الصناعتين ، ص . 16 . 17 .

[2] – المصدر السابق ، ص . 17 .

« استثمر جهود سابقيه من النقاد و اللغويين و النحاة و البلاغيين ،وخطا بالفصاحة خطوات كبرى ، في ظل تصوراته للعلاقة بين اللفظ و المعنى التي جعل على أساس منها الفصاحة للألفاظ و البلاغة للألفاظ و المعاني معا»[1]

و يُقرّ حامد صالح خلف الربيعي في كتابه " البلاغة فنونها وأفنانها " بأنّ أوّل من تحدّث حديثا شافيا عن الفصاحة هو ابن سنان الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة " ومن بعده اغْتَرفُوا منه ، و نقلوا عنه ، و من بعده ابن الأثير في " المثل السائر " .

فيقول ابن سنان في تعريفها : « الفصاحة الظهور و البيان ...، و الفرق بينها و بين البلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، و البلاغة لا تكون إلاّ وصفا للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى تفضل عن مثلها : بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، و كل كلام بليغ فصيح و ليس كلّ فصيح بليغا » [2] من خلال قوله هذا يظهر أنّ الفصاحة خاصة باللّفظ الظّاهر البيّن الذي ليس فيه غموض و لبس ، وقد فرّق بينها و بين البلاغة ، فهذه الأخيرة مقترنة باللّفظ مع المعنى ، أمّا الفصاحة فمقتصرة على اللّفظ فقط ، فهو لا يعتبر اللّفظة وحدها و إن كانت فصيحة بليغة وكل كلام بليغ يجب أن يكون فصيحا و العكس غير صحيح .

ويعرّفها ابن الأثير بقوله : « الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني به أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة ، و إنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال ، دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها و بيانها فالفصيح من الألفاظ هو الحسن » [3] .

فالفصيح من الألفاظ–عنده– الظاهر البين الذي تكون ألفاظه مفهومة لأول وهلة ولا يحتاج

---

[1] – ينظر مقاييس البلاغة ، ص . 468 . 469 .

[2]– سر الفصاحة :ابن سنان الخفاجي تح: النبوي شعلان ، دار قباء ، القاهرة ، ط.1 . 2003م، ص. 66 . 67 .

[3]– المثل السائر:ابن الأثير، قدمه وعلق عليه :أحمد الحوفي و بدوي طبانة،دار نهضة مصر، القاهرة . ج. 1. ص.90.

فيها إلى بحث في المعاجم ، ومن ثم فهي مألوفة الاستعمال لحسنها ، فالحسن سبب استعمالها ، واستعمالها سبب ظهورها و بيانها ، إذن فاللفظ الفصيح هو الحسن في مفهومه.

و يضيف بأنّ حسن الألفاظ داخلة في حيّز الأصوات، فالذي يستلذّه السمع منها و يميل إليه هو الحسن و الذي يكرهه و ينفر عنه هو القبيح و يعطي مثالا عن ذلك فيقول: « ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير ...، ويكره صوت الغراب ، وينفر عنه و كذلك يكره نهيق الحمار و لا يحبذ ذلك في صهيل الفرس » [1] إذن فحسن الألفاظ مدرك بالسمع ، لأنه بعيد مخارج الحروف، فما استساغته الأذن فهو الحسن وما كرهته فهو القبيح.

هؤلاء هم أصحاب " الفصاحة للفظ " و بالمقابل ظهر اتجاه آخر يخالف الاتجاه الأول يجعل : "الفصاحة للنظم" وخير من يمثله : القاضي عبد الجبار ، و الإمام عبد القاهر الجرجاني ، و مدار الفصاحة عند أصحاب هذا الاتجاه على النظم ، فهي خصوصية تظهر فيه .

ورغم معاصرة عبد القاهر لابن سنان ، إلا أن بحثه كان في شيء آخر ، فكان حديثه على النظم ، ولهذا لم يخص الكلمة باهتمام وكثير بحث ، بالإضافة إلى عدم تفريقه للفصاحة و البلاغة فهو يرجعهما إلى معنى واحد –هذا سنفصل فيه لاحقا– .

و الفصاحة في اصطلاح البلاغيين المتأخرين صفة توصف بها الكلمة والكلام و المتكلم وهي في : « المفرد خلوصه من تنافر الحروف و الغرابة ، و مخالفة القياس وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات مع فصاحتها ، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح » [2] .

ويمثل المتأخرين خير تمثيل الخطيب القزويني الذي يرجع الفصاحة في كتاب التلخيص إلى المفرد و الكلام و المتكلم .

---

[1]– المثل السائر ، ج. 1 . ص . 91 .

[2] – التعريفات : الشريف الجرجاني ،تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (دط)، 2006م، ص . 169 .

والذين أتوا بعد القزويني لم يخرجوا عما تحدث فيه ، فمثلا صاحب كتاب الطرّاز يعرّفها بأنّها : « خلوص اللّفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف و الألفاظ جميعا ، فمتى سلمت اللفظة الواحدة عن تنافر تركيبها ، ولم تكن من قبيل قولنا عقجق ولا من قولهم "الهُعخُع" وهو شجر ، وسلِمَ تركيب الألفاظ عن التنافر أيضا كما قيل ليس قُرْب قبر حرب قبر، لأن التنافر في الأول إنما كان من أجل تقارب مخارج تلك الحروف ، وحصل التنافر في الثاني من جهة تركيب الألفاظ المتقاربة ، فحصل من أجل ذلك عثار في اللسان و توعّر في المخارج » [1] .

يبدو لنا من خلال هذا القول أنه يهتم بجانبين : المعنى و اللفظ ، فخلوص اللفظة الواحدة أو الألفاظ من التعقيد راجع إلى المعنى أي عندما تأتلف الكلمة الواحدة أو مجموعة من الكلمات تشكل لنا معنى ظاهر مألوف مستعمل ، وكذلك من جهة اللفظ، فعندما تسلم الكلمة الواحدة من تنافر حروفها أي من قرب مخارج حروفها وتسلم الكلمات مجتمعة من التنافر فتشكل كلمة عربية أصيلة فصيحة أو تركيبا سليما فصيحا ، وضرب لنا مثالا عن تنافر اللفظة الواحدة بـ " عقجق " و " هعخع " فهاتان الكلمتان غير فصيحتين بسبب تقارب مخارجها مشكلة بذلك عثارا في اللسان ن وتوقر في المخارج ، و ضرب لنا مثالا عن تنافر الألفاظ مجتمعة بـ " ليس قرب قبر حرب قبر " فهي متنافرة بسبب تقارب تركيب ألفاظها مشكلة كذلك عثار في اللسان و توعّر في المخارج .

[1] – الطرّاز : يحي بن حمزة العلوي ، دار الكتب الحذيونة ، مصر ، ج. 1. ص .104 .

ويقول صاحب جواهر البلاغة : « الفصاحة في اصطلاح أهل المعاني هي الألفاظ البيّنة الظاهرة ، المتبادرة إلى الفهم و المأنوسة الاستعمال بين الكتاب و الشعراء و تقع وصفا للكلمة و الكلام و المتكلم » [1].

و الفصاحة في مفهوم أهل المعاني عبارة عن الألفاظ الظاهرة البعيدة عن الغموض و المفهومة والمتداولة الاستعمال سواء بالنسبة للكتّاب أو الشعراء على السواء و هو لا يخرج عن مفهوم الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين باعتبارها وصفا للكلمة و الكلام و المتكلم .

وهي : « الإبانة عن فكرة بكلام خال من التعقيد ، واللفظة الفصيحة هي السليمة من تنافر الحروف ، ومن غرابة الاستعمال و الجملة الفصيحة هي التي تسلم من ضعف التركيب ، وتنافر الكلام ، والتعقيد ، وكثرة التكرار ، والإطناب الممّل ، وتتابع الإضافات و الأوصاف إلى مضاف واحد و موصوف واحد » [2].

فهي تعني عند صاحب هذا التعريف ، التعبير عن فكرة ما بشرط الوضوح و الابتعاد عن اللبس ، ويشترط في اللفظة الفصيحة سلامتها من : تنافر الحروف ، و غرابة الاستعمال ، كما يشترط في فصاحة الجملة سلامتها من ضعف التركيب ، وتنافر الكلام باعتبار أنّ كل لفظة منها متنافرة فيؤدي في تركيبها إلى تنافر الكلام ، والتعقيد، و كثرة التكرار و الإطناب الممّل ، وتتابع الإضافات و الأوصاف إلى مضاف واحد وموصوف واحد وكل هذا سنتطرق إليه بالتفصيل عند حديثنا عن أنواع الفصاحة .

وخلاصة حديثنا أن الفصاحة عند المتقدمين من علمائنا انقسمت إلى قسمين : القسم الأول يردُّها إلى " اللفظ " فقط ، وخير من يمثل هذا الاتجاه : الجاحظ ، ابن سنان الخفاجي، ابن الأثير ....، و القسم الثاني يردُّها إلى اللفظ و المعنى معا و خير من يمثل

[1] – جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع : أحمد الهاشمي ، ضبط : يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، ط.1 . 1999 م ص . 20 .

[2] – الجامع في علوم البلاغة:محمد ألتونجي، دار العزة والكرامة للكتاب،وهران، الجزائر ، ط. 1 . 1433 هـ – 2012 م ص . 11 .

هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني ، أمَّا المتأخرون فيعتبرون أنها وصف للكلمة والكلام و المتكلم ، إضافة إلى أن التفريق بين الفصاحة و البلاغة لم يظهر إلا مع أبي هلال العسكري و ابن سنان الخفاجي يليهما ابن الاثير ، وكذلك لا يختلف اثنان في أنّ معظم علماءنا المتأخرين منهم و المحدثين يفرقون بين الفصاحة و البلاغة ، ويجعلون لكل منها مجالها الخاص بها .

المعنى اللغوي و المعنى الاصطلاحي يشتركان في أنّ كلاهما يدل على الإبانة و الظهور و الانكشاف التي تفيد الصفاء و الخلوص من الشوائب التي تحول دون المطلوب.

3) – أنواع الفصاحة :

أ)– فصاحة الكلمة ، ب)– فصاحة الكلام ، ج)– فصاحة المتكلم .

أ)– فصاحـة الكلمـة : سلامتها من أربعة عيوب :

1– تنافر الحروف ، 2 – غرابة الاستعمال ، 3– مخالفة القياس ، 4– الكراهة في السّمع .

1/– تنافر الحروف : هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السّمع و صعوبة أدائها باللّسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج و هو نوعان :

أ – شديد في الثقل : كالظش للموضع الخشن ، و نحو : هُعْخُعْ من قول أعرابي : تركت ناقتي ترعى الهُعْخُعْ .

و الهُعْخُعْ : نَبْت ترعاه الإبل ، و هي كلمة غير فصيحة بسبب تقارب مخارجها .

ب – خفيف : كالنقنقة لصوت الضفادع ، و النّقاخ للماء العذب الصّافي ، و نحو مُسْتَشْزَرَاتْ [1] من قول امرئ القيس :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى العُلاَ [2] .

هذا البيت مما ذكره امرؤ القيس في وصف شعر ابنة عمه " ليلى"

فالمقصود بالغدائر: الذوائب ، ومستشزرات : مرتفعات ، فكلمة مستشزرات كلمة غير فصيحة بسبب تقارب مخارجها الذي يؤدي إلى ثقلها على اللّسان ، وعسر النّطق بها .

و لا ضابط لمعرفة الثقل و الصعوبة سوى الذوق السليم و الحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء و ممارسة أساليبهم .

2/ – غرابة الإستعمال : و هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء ، لأن المعوّل عليه في ذلك استعمالهم ، و الغرابة قسمان [3] :

---

[1] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع : أحمد الهاشمي ، ص . 20 .

[2] – ديوان امرئ القيس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط.3 : 1438 هـ – 2007 م ، ص . 44 .

[3] – جواهر البلاغة ، ص . 20 . 21 .

– **القسم الأول :** ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ، وذلك في الألفاظ المشتركة " كمسرّج " [1] من قول رُؤْبة بن العجّاج :

وَمُقْلَةً وَحَاجِبًا مُزَجَّحَا وَ فَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجَا [2]

المرسن : الأنف ، ومسرج لم يعرف المراد منها ، و قد اختلف في تخريجها " فقيل : هو من قولهم للسيوف " سُرَيجِيَّة " منسوبة إلى قَيْنٍ يقال له سُرَيْجٍ ، يريد أنه في الاستواء و الدقة كالسيف السريجيِّ ، و قيل : من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم "سَرِجَ وجهه" بكسر الراء أي حَسُنَ،وسرَّج (الله) وجهه أي بهَّجه و حسَّنه " [3] .

– **القسم الثاني :** ما يعاب استعماله لا يحتاج إلى تتبع اللغات و كثرة البحث و التفتيش في المعاجم " قواميس متن اللغة المطوّلة "

أ)– فمنه ما يعثر فيها على تفسير بعد كدٍّ و بحثٍ نحو : تكأكأ تم بمعنى اجتمعتم [4] من قول عيسى بن عمر النحوي :

مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ كَتَكَأْكُئِكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ ، افْرَنْقَعُوا عَنِّي [5] .

ب)– ومنه ما لا يعثر على تفسيره نحو (جَحْلَنْجَعْ) ، من قول أبي الهَمَيْسَع

مِنْ طَمْحَةٍ صَيَّرَهَا جَحْلَنْجَعْ [6] .

فكلمة " تكأكأتم " كلمة غير فصيحة ، لأنها وحشية ، لا يظهر معناها إلا بعد البحث و التقصي عنها في كتب اللغة المبسوطة ، لكن كلمة " جَحْلَنْجَعْ " لم يعثر على معناها فهي إذًا غريبة عن الاستعمال و بالتالي هي غير فصيحة .

---

[1] – جواهر البلاغة ، ص . 21 .

[2] – ينظر المرجع السابق.ص.21.

[3] – الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص . 6 .

[4] – جواهر البلاغة ، ص. 22 . 23 .

[5] – البيت لعيسى بن عمر النحوي ، ينظر : جواهر البلاغة ، ص. 23.

[6] – ينظر جواهر البلاغة ، ص . 23 .

3/- مخالفة الاستعمال : كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب ، بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع ، مثل كلمة " الأجْلَلِ " في قول الشاعر : الحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ الأجْلَلِ [1]

فإن القياس"الأجَلِّ" بالإدغام ، ولا مسوغ لفكّه ، وكقطع همزة الوصل في قول جميل:

أَلاَ لاَ أَرَى إِثْنَيْنَ أَحْسَنَ شِيمَةً .

فالأصل في إثنين همزة وصل – اثنين – و ليس همزة قطع ، وهذا مخالف للقياس و بذلك فهي غير فصيحة .

لكن يستثنى من ذلك ما ثَبِتَ استعماله لدى العرب مخالفا للقياس و لم يخرج عن الفصاحة لفظتا "المشرق" و "المغرب" بكسر الرّاء و القياس فتحها فيهما .

4/- الكراهة في السمع : كون الكلمة وحشية تأنفها الطباع ، وتمجّها الأسماع وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة ، كلفظ " الجِرِشَّى " في قول أبي الطيب المتنبي

كريمُ الجِرِشَّى شَرِيفِ النَّسَبْ [2]

وهذا البيت قاله المتنبي مادحا سيف الدولة ، والمقصود بمعنى " الجِرِشَّى " هو النفس وهو على وزن " فِعِلَّى " ، فهي كلمة لا تستسيغها الأذن و بالتالي هي غير فصيحة .

ب)- فصاحة الكلام :

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مفرداته ممّا يبهم معناه و يحول دون المراد منه وتتحقّق فصاحته بخلوّه من ستة عيوب :

أ- **تنافر الكلمات مجتمعة :** و هي أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبها مع بعضها على السمع ، عَسرة النطق بها مجتمعة على اللسّان ، و إن كان كلّ جزء منه على انفراده فصيحًا ، والتنافر نوعان :

[1] – شطر البيت ، للفضل بن قدامة بن عجل ، ينظر الشعر و الشعراء: ابن قتيبة ، ص . 400 .

[2] – ديوان المتنبي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط. 2 ، 2008 م ، ص . 282 .

1/– شديد الثقل : كقول الشاعر : وَ لَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبَ قَبْرُ [1] .

فحرب هو اسم يعود على صاحبه حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت ، و قفر : مكان خال من الماء والكلأ ، وقبر اسم ليس مؤخر و قرب خبرها مقدّم ، فلو أخذنا كل كلمة على حدى لوجدناها غير مستكرهة ولا ثقيلة ، لكنّها مجتمعة تصبح ثقيلة و متنافرة بسبب اجتماع كلماته و قرب مخارج حروفها ثقلا ظاهرا .

2/– خفيف الثقل : نحو قول أبي تمام

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَ الْوَرَى مَعِي وَ إِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي[2] .

فإن في قوله " أمدحه " ثقلا ما ، لما بين الحاء و الهاء من تنافر .

ب – ضعف التأليف : أن يكون الكلام جاريا على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء ، كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعرف منها على الأعرف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا ، كقول المتنبي :

خَلَتِ الْبِلاَدُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لاَ تَحْزَنَا [3] .

فكلمة " أعاضهاك " فيها وصل لضميرين هما : الهاء و الكاف .

وضعف التأليف ناشئ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر و أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل و رفع المفعول ففاسد غير معتبر و الكلام في تركيب له صحة و اعتبار .

ج – التعقيد اللفظي : و هو كون الكلام مخفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني ، و ينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير و فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض .

---

[1] – ينظر جواهر البلاغة . ص . 32.

[2] – ديوان أبي تمام البحتري ، ضبط وشرح : شاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط.3 1424 هـ – 2003 م ، ص . 122 .

[3] – ديوان المتنبي ، ص . 103 .

و المقصود بـ " فصل بأجنبي " فصل بين الموصوف و الصفة، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ و الخبر، وبين المستثنى و المستثنى منه، ممّا يسبب ارتباكا واضطرابا شديدا، وهو مذموم لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه، كقول المتنبي:

جَفَخَتْ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الأغَرِّ دَلاَئِلُ [1] .

فهو يفتخر بالأخلاق التي تدل على الحسب و هم لا يفتخرون بها ، ولو استعمل المتنبي " فخرت " كان أفضل .

د – <u>التعقيد المعنوي :</u> و هو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد ، لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدَّالة على المقصود [2] .

– وهو ببساطة سوء اختيار المتكلم للألفاظ التي يريد التعبير بها ، فيسيء بذلك اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده ، مما يؤدي إلى عدم فهم السامع نحو : نشر الملك ألسنته في المدينة ، فهذا المثال عندما يسمعه أحد لا يفهم معناه ، لأن المتكلم لم يُصِبْ في اختيار الألفاظ المعبرة عن فكرة ما ، وهذه الفكرة هي أنّ الملك نشر جواسيسه ، فالأفضل لو قال نشر عيونه بدلا عن نشر ألسنته .

و – <u>كثرة التكرار :</u> هو تكرار اللفظ الواحد سواءا أكان اسما أو فعلا أو حرفا وسواء كان الاسم ظاهرا أو ضميرا [3] ، بغير فائدة ، فذكر الشيء مرتان لا يسمى كثرة ، بل يسمى تكرارا ، أما إذا ذكر ثلاث مرات فأكثر فيسمى " كثرة التكرار " كقول الشاعر :

إِنِي وَ أَسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرًا لَقَائِلُ يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا [4] .

– فتكرار كلمة " نصر " يسمى " كثرة تكرار " و هو لا يؤدي فائدة في الكلام .

---

[1] – ديوان المتنبي، ص . 33 .

[2] – جواهر البلاغة ، ص . 34 .

[3] – المرجع السابق ، ص . 35 .

[4] – ينظر المرجع نفسه ، ص . 35 .

ي – <u>تتابع الإضافات :</u> كون الاسم مضافا إضافة متداخلة غالبا ، كقول ابن بابك [1] .

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي .

فحمامة معرف بالإضافة ، وقد أكثر الشاعر من الإضافات التي تبعد عن الفصاحة وحومة الجندل تعني : معظم الصخر ، و السّجع هو صوت الحمام .

– و هناك من أجاز العيبين الأخيرين– و، ي – لوقوعهما في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **و نَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا** ﴾ **[الشمس : 7]** وفي قوله تعالى أيضا : ﴿ **ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا** ﴾ **[مريم : 2]**، وقول النبي صلى الله عليه و سلم : " ٱلكَرِيمُ ابنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ : يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ " [2] .

ج)– <u>فصاحـة المتكـلم :</u>

فصاحة المتكلم عبارة عن الملكة التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان ، فيكون قادرا بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام متمكنا من التصرف في ضروبه ، بصيرا بالخوض في جهاته و مناحيه فالملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة و لا نسبة ، وهو مختص بذوات الأنفس ، راسخ في موضوعه [3] .

وقيل : " ملكة " و لم يُقَلْ " صفة " ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبِّرُ عن مقصود بلفظ فصيح فصيحا إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه .

---

[1] – جواهر البلاغة ، ص. 36 .

[2] – ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ، ضبط و شرح : عبد الرحمن البرقوني ، دار الفكر العربي ط.1 . 1904 ، ص. 10.

[3] – جواهر البلاغة ، ص . 38 .

وقيل : " يقتدر بها " و لم يُقَلْ " يعبّر بها " ليشمل حالتي النُطق و عَدَمِه .

وقيل : " بلفظ فصيح " ليعمّ المفرد و المركب [1] .

و قد اختلف تقسيم المتقدمين عن المتأخرين مثلا تقسيم ابن سنان الخفاجي الذي جعل الفصاحة قسمين : فصاحة المفرد ، و فصاحة المركب ، فالأول أن تكون الكلمة الواحدة منفردة من غير أن ينضمّ إليها شيء من الألفاظ ، والثانية أن تكون الألفاظ منظومة بعضها إلى بعض ، بينما قسمها المتأخرون أمثال القزويني إلى ثلاثة أقسام : فصاحة الكلمة (المفرد)، فصاحة الكلام ، فصاحة المتكلم ، وهناك نقاط اشتراك في الأمثلة المذكورة لكل عيب و هناك المختلفة منها ، و يظهر من خلال قول صاحب كتاب البلاغة فنونها و أفنانها : «... تدرك القيمة الموضوعية و المنهجية كما نلح الروعة الأدبية و الفنية فيما فصله ابن سنان ، و فيما ذكره ابن الأثير ، و مع تقديرنا لصاحب " التلخيص" وعذرنا له فيما أوْجَزَ ، فلقد كان أملنا في بعض الكابتين المحدثين أن لا يقفوا عند الإختصار و الإبتسار و التراث مليء بكثير من الشواهد » [2] .

ونستشف من هذا القول أنّه معجب بتقسيم المتقدمين للفصاحة واعتبار ما قدمه المتأخرون على رأسهم القزويني مختصرا و قليل الأمثلة .

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة ، ص . 11 .

[2] – البلاغة فنونها و أفنانها : فضل حسن عبّاس ، دار الفرقان ، عمّان ، الأردن ، ط. 2 ، 1409 هـ – 1989 م ص . 45 . 46 .

الفصاحة هي بلوغ اللسان غايته في التعبير والإفصاح، فباللسان يمتدح الرجل وهناك من يرجع الفصاحة والبيان من تمام الشّخصية، وقد أجمع علماؤنا أن قريشا أفصح وأرقى العرب ألسنة وأصفاهم لغة فإذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن وأصفى الكلام، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار بينهم نبي الرحمة وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد تطرّق إلى موضوع الفصاحة عدّة نحاة من قدماء ومحدثين سواء أكانوا بلاغيين أم لغويين، وهناك من حاول التفريق بين الفصاحة والبلاغة ويجعل لكل منهما بابًا خاصًا به كما نجد من نظر إليها نظرة أخرى محاولا الجمع بينهما.

أ- ترجمة حياته:

هو أبو الفتح عثمان ابن جني، بكسر جيم (جِنِّيْ) وتشديد النون وسكون الياء معرب كنّي كان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، ولد بالموصل وتعلم بها ولقبوه بالموصلي نسبة إلى مهده الأول ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته، فقال بعض أنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة وهناك من قال أن سنة ميلاده كانت بين سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، أو اثنتين وعشرين وثلاثمائة كما ورد في كتابه الخصائص تحقيق (محمد علي النجار)، حيث يعتمد النجار على ما قاله ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة، أن ابن جني توفي وعمره سبعون سنة ، وأن وفاته كانت في الثانية والتسعين وثلاثمائة فتكون سنة ميلاده اثنتين وعشرين وثلاثمائة.[1]

[1]- بغية الوعاة:السيوطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط.2 .1399هـ-1979م، مج.2 ص.132.

و يذكر الرّواة أنه صاحب أستاذه أبا علي الفارسي مدة أربعين سنة واتصل به إثر حادثة الموصل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فيكون عمره آنذاك خمس عشرة سنة حيث التقى به أستاذه أبو علي الفارسي وهي سن مبكرة على التدريس.

ومعنى (جنّي) في العربية : فاضل وجني تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليوناني (GENNAISS) ومعناها : كريم ، نبيل ، جيد التفكير ، عبقري مخلص[1] .

و ابن جني وإن لم يكن من أصل عربي، فقد عوض بعد نسبه عن العرب بعلمه حيث قال في قصيدته الطويلة:

فإنْ أُصْبِحْ بِلاَ نَسَبٍ فَعِلْمِي فِي الوَرَى نَسَبِي
عَلَى أَنِّي أَقُولُ إِلَى قُرُومٍ سَادَةٍ نُجُبِ
قَيَاصِرةٍ إِذَا نَطَقُوا أَرَمَّ الدَهْرُ ذُو الخُطَبِ
أَولاَكَ دَعَا الَنَبِي لَهُمْ كَفَى شَرَفًا دُعَاءُ نَبِي[2]

و رغم أنه كان أعور إلا أنه لم يكن يشعر بالنقص، و مما يستدل به على هذه العاهة قوله لأحد أصدقائه: صُدُوكَ عَنِّي ولاَ ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ علَى نيّةٍ فَاسِدَة
فَقَدْ– وحَيَاتِك – مِما بَكيتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الوَاحِدَة
وَلَوْلا مَخَافَةَ أَلاّ أَرَاكَ لَمّا كَانَ فَي تَرْكِهَا فَائِدَة

[1] – الخصائص:ابن جني ، تح : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية،القاهرة ، ط.2 .1371هـ–1952م ،ج.1، ص.8.

[2] – إنباه الرواة على أنباء النحاة : القفطي، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي،القاهرة،ط.1 .
1406هـ–1986م ج.2، ص .335.

إلا أنّ هناك من نسب هذه الأبيات إلى أبي منصور الديلمي و قد أشار إلى ذلك محقق الخصائص على النجار حيث قال في مقدمة الخصائص :« و لا ينبغي أن يفهم من الشك في نسبة هذا الشعر إليه الشك في عوره »[1].ومن صفاته أيضا انه كان يميل بشفتيه ويشير بيده وهي عادة له في أثناء الحديث وهذا لتأكيد المعنى وتوضيحه وهو أسلوب اعتمد عليه ابن جنّي في بث علمه و بادٍ في كتبه حيث قال: « رُبّ إشارة أبلغ من عبارة»[2] وهو ما يقره المحدثون في علم السيمياء أو علم العلأمّات.

وقد نبغ ابن جنّي في علم التصريف والنحو أكثر من العلوم الأخرى، مما جعل الدارسين المحدثين يهتمون بالتأليف عنه[3].

أمّا فيما يخص أخلاقه، فقد كان ابن جني من العلماء ذوي الأخلاق العالية واشتهر بالعفة والفضائل بعيدًا عن الرذائل، رغم انتشار اللهو و المجون في عصره وكان صادقا أمينا وافيا في التحدث عن شيوخه و لا سيما أبي علي الفارسي إذ كان يذكره بالثناء الحسن والإعجاب .

كان لابن جنّي من الولد ثلاثة : علي و عالٍ وعلاء وكلهم أدباء فضلاء والمعروف منهم عالٍ فقد ذكرته التراجم حيث ذكره(ياقوت الحموي)[4] في معجمه الأدباء وكذا (السيوطي)[5] في

[1]– الخصائص ،ج.1، ص.12.

[2] – علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لابن جني : سليم عواريب، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص.62.

[3] – ينظر تراث ابن جنّي اللغوي والدرس اللساني الحديث، ذي سوسير نموذجا : بلملياني بن عمر ، ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون، الجزائر ، 2006 م.

[4] – معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط.1 ، 1991 م . ج .3 . ص. 463.

[5] – بغية الوعاة ، ج.2 . ص.24.

كتابه بغية الوعاة حيث يكنى بأبي سعيد ويلقب بالبغدادي وكان نحويا أديبا حسن الحظ لأخذه عن والده أبي الفتح ابن جنّي .

أمّا عن وفاته فيقال:« فإنّه استوطن دار السلام ودرّس بها العلم إلى أن مات وكانت وفاته ببغداد»[1]. في يوم الخميس أو الجمعة السابع والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة[2].

ب- ثقافته وعلمه:

لقد حظي القرن الرابع للهجرة بنصيب وافر من الثقافة والتقدم العلمي ، و المتصفح لكتاب ابن جني يرى أنه رجل عميق الثقافة كثير العلم حاد الذكاء وجم المعرفة فهو « من أحدق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو و التصريف »[3] ، فقد نبغ في علم اللّغة فكتب في النحو والتصريف ودرس الأصوات إذ يعد من الأوائل الذين ادخلوا مصطلح الصوت والحرف في الدراسة الصوتية، حيث جعله البعض من مصطلحي القرن الرابع هجري إذ يرجع إليه الفضل إلى اكتشاف مصطلحات جديدة لم يسبق إليها أحد.

«... فقد ألف في اللّغة كما لاحظنا، وألف في القراءات كما في كتابه المحتسب ، وألف في الأدب كتفسير ديوان المتنبي ، وفي النحو و أصوله كتاب التلقين في النحو و الخصائص كما ألف في العروض والقوافي والشعر كتبا، وألف في الأصوات أيضا سر صناعة الإعراب الذي يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه في كلام العرب»[4].

---

[1] – ابناه الرواة على أنباء النحاة، ج .2، ص.336.

[2] – بغية الوعاة ، ج.2 ، ص .132.

[3] – المصدر نفسه ، ص.132.

[4] – علم اصول النحو ومصطلحاته: ص.64.65.

وأعطى تعريفا للغة على أنها«أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[1] .مع تخصيص بابا في كتابه الخصائص بعنوان " باب القول على أصل اللّغة أإلهام هي أم اصطلاح؟ " .وكما كان ابن جنّي أمّاما في النحو كان أمّاما في اللّغة أيضا وهذا بفضل أعماله في كلا الجانبين (النحو و اللّغة) .

بالإضافة إلى اعتناءه بالشعر حيث قام بشرح ديوان المتنبي وبفضل هذه الثقافة استطاع أن يؤلف ما يزيد عن الخمسين كتابًا.

ج- مؤلفاته وآثاره :

كما ذكرنا سالفا فإنّ ابن جنّي ترك ثروة علمية لا بأس بها حيث بلغت الخمسين كتابا في مختلف العلوم العربية ، فقد أفنى حياته في التأليف ولو عاش أكثر لتجاوزت هذا العدد، إذ يرجع فضل هذه المؤلفات إلى إثراء المكتبة العربية فمنها ما وصلنا والبعض الآخر فقدت أثارها.

فقد ألف في اللّغة والنحو والتصريف والفقه والقراءات والأدب والشعر وأصول النحو حيث اختار لها أحسن العناوين : « اختار لها أحسن الأسماء نالت إعجاب المؤلفين الذين لم يدبروا في تضمينها وتسمية كتبه بها ،كما فعل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي المتوفى سنة(476 هـ) حيث سمى بعض كتبه بأسماء كتب ابن جني كالمهذب والتنبيه في الفقه واللمع و التبصرة في أصول الفقه »[2] .

ويمكننا تصنيفها حسب مايلي :

[1] – الخصائص ، ج.1. ص.23 .

[2] – علم أصول النحو ومصطلحاته ، ص.68.

1- في اللّغة والنحو والتصريف:

الألفاظ المهموزة ،اسم المفعول،التلقين في النحو، تفسير المذكر والمؤنث ، التبصرة التنبيه في الفروع ، تعليقات في حدود ومعان وفوائد ، الخصائص ، ذا القد ، الزجر، سر صناعة الإعراب ، شرح الفصيح ، شرح كتاب الإيضاح ، شرح المقصور والممدود ، علل التثنية ، عقود الهمز وخواص أمثلة الفعل ، الفصل بين الكلام العام والخاص ، الفرق ، الفائق المبهج في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة، اللمع في العربية ،المهذب ، المقتضب ومحاسن العربية ، مسألة في إعراب إذ، المنصف في شرح التصريف ...

2- في الأدب والشعر :

أمّا في مجال الأدب والشعر فقد ترك لنا ابن جني ثروة لغوية كبيرة تتمثل في كتبه ورسائله وأرائه المبثوثة هنا وهناك ومن أمثلة ذلك نجد :

- البشرى والظفر ، التمام ، التبصرة في العروض،المسائل الخاطريات، رواية وشرح ديوان ديوان ابي طالب ، رواية وشرح ديوان أبي الأسود الدؤلي ، رواية ديوان العرجي ، رواية كتاب (من نسب إلى أمه من الشعراء)، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ، شرح المعلقات ،شرح الكافي في القوافي ، الصبر في شرح ديوان المتنبي، الشرح الكبير، المختارات ، شرح مقصورة ابن زيد ، التمام في تفسير أشعار هذَيل ....

3- في الفقه والقراءات : نذكر منها :

- الخطيب ،شرح التبصرة في أصول الفقه ، المحتسب في إعراب الشواذ من القراءات مسألتان من كتاب الايمان لمحمد بن الحسين الشيباني[1]

[1] - علم أصول النحو ومصطلحاته ، ص. 71 .

من بين أثاره المفقودة[1] نجد:

-التذكرة الأصبهانية ، تعاقب العربية ، الأراجيز ،أجوبة المسائل الدمشقية ، الدمشقيات ، أجوبة المسائل الواسطية ، أسماء الذهب والفضة ، تفسير العلويات ،المعتلات في كلام العرب النوادر مد الأصوات ، شرح فصيح ثعلب ، كتاب الفرق ، التلقين في النحو ، سر السرور ، وشرح إصلاح المنطق ،كتاب اللصوص...

وتلقى ابن جني العلم على كثير من علماء العربية في عصره كما حرصوا على الأخذ من أفواه الشيخ وترك الصحف ويتجلى ذلك في سلسلة السند في روايته عن شيوخه فقد كان أمينا فيما يرويه عنهم حريصا على ذكر عباراتهم حيث نجد في مقدمة أساتذته:

1-الحسن بن احمد بن عبد الغفار المعروف بأبي علي الفارسي النحوي(ت 377 هـ)[2] والذي كان له أثر كبير في حياة ابن جني العلمية والثقافية،حيث أكثر الأخذ عنه ولعل مرد ذلك إلى كثرة ملازمته له حيث أخذ أبو علي الفارسي عن أبي زيد الأنصاري وعن أبي عثمان المازني وعن أبي عمر بن العلاء .

2-محمد بن الحسين بن يعقوب المعروف بابن مقسم (ت 351 هـ) ويذكر الأستاذ علي النجار أن ابن مقسم كان رواية أبي العباس احمد بن يحي ثعلب ورجح أن ابن جني اخذ عنه في بغداد.

3-احمد بن محمد الموصلي:(الأخفش الخامس)[3] وذكر أن له كتابا اسمه تعليل القراءات .

---

[1] – أضواء على أثار ابن جني :غنيم بن غانم الينبغاوي ، جامعة أم القرى ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط.1 .1999م ص38. 39.

[2] – ابن جني عالم العربية : حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ، ط.1. 1999 م، ص.21.

[3] – علم أصول النحو ومصطلحاته ، ص.72.

4-أبو الفرج الأصفهاني(ت 356 هـ) صاحب كتاب الأغاني والذي بدوره أخذ عن اليزيدي وعن محمد بن حبيب .

5-أبي إسحاق إبراهيم ابن أحمد الفرميسني (ت337 هـ)إضافة إلى العديد من العلماء واللغويين حيث ذكر ابن جني أسماءهم في كتابه الخصائص فيقول:« ولم نرى أحدًا من أشياخنا ممن وردهم فيها كأبي حاتم وبندار وأبي علي وفلان و فلان ... »[1]. ويقصد حاتم السجستاني وغيرهم .

وكما ذكرنا سابقا أن ابن جني بدأ التدريس في سن مبكرة جدًا حيث كان سنه آنذاك خمس عشرة سنة كما صاحب شيخه أبي علي الفارسي مدة أربعين سنة حيث كان ينتقل بين الموصل وبغداد لتلقي مختلف العلوم فبعد وفاة شيخه أبي علي سنة (377 هـ) تصدر للتدريس مكانه في بغداد إلى أن توفي سنة (392هـ) تلامذته يعدون على أصابع اليد الواحدة نذكر من بينهم[2]:

1-عمر بن ثابت الثمانيني(ت 442 هـ) يعد من العلماء الفضلاء حيث قال عنه ياقوت الحموي :« أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير ، أمّام فاضل وأديب كامل أخذ عن أبي الفتح بن جني ...»[3].

2-عبد السلام بن الحسين البصري : (ت 405 هـ) أبو أحمد كان لغويا عالما بالقراءات، قرأ على ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي .

[1] – الخصائص ، ج.1. ص.80.

[2] – ابن جني عالم العربية : حسام سعيد النعيمي، ص25.

[3] – المرجع نفسه ،ص.25 .

3-علي وعال و علاء أبناء ابن جني ، قال ياقوت الحموي: « وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم »[1].

4-أبو الحسن السمسمي:(ت 415 هـ) علي بن عبيد الله الغفار السمسمي كان لغويا ثقة وراوية أخذ عن ابن جني وعن شيخه أبي علي الفارسي والسيرافي.

5-علي بن زيد القاشاني النحوي : يقال إنّه أحد أصحاب ابن جنّي .

6-ثابت بن محمد الجرجاني: (قتل في الأندلس سنة 421 هـ) أخذ عن ابن جني في بغداد كما أخذ عن تلميذه بن الحسين البصري ،وكان أمّاما في العربية .

7-الشريف الرضي :الشاعر المشهور أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى .

د- أقوال العلماء فيه :

لقد تميز ابن جني بثقافة واسعة من العلم وهذا بفضل عقله الوقاد وعد من أئمة النحو في القرن الرابع هجري (04 هـ) مع الخليل وسيبويه وأبي علي الفارسي ، فلا نكاد نقف على ترجمة ابن جني حتى نرى ثناء جميلا عليه إن كل من كتب عنه يعترف بفضله ويثني عليه وعلى مؤلفاته وقد لخصنا ما جاء في بعض التراجم مما قال العلماء فيه وفي مؤلفاته حيث نجد :« من تأمل مصنفاته وقع على بعض صفاته »[2] . وهناك من بصفه بأنه " صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب ".

يقول الفيروز أبادي(ت817 هـ):«ذو التصانيف المشهورة الجليلة والاختراعات العجيبة»

[1] – معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ج.3 . ص.467.

[2] – ابناه الرواة : ج .2.ص. 338.

كما نجد قول الخطيب البغدادي(ت463 هـ) : « له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها وأحسن »[1].

أمّا ياقوت الحموي فيصفه في معجم الأدباء بقوله:« من أحدق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وصنف في ذلك كتبا أبر بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين » [2].

وتشير بعض التراجم إلى تسميته بالنحوي مرة وباللغوي مرة أخرى.

فالسيوطي يقول فيه : « من أحدق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، فسببه أنه كان يقرأ النحو بجامع الموصل »[3].

أمّا المتنبي فيصفه بقوله : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، وكان المتنبي إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول سلوا صاحبنا أبا الفتح»[4].

[1] – أضواء على آثار ابن جني : ص. 16.

[2] – معجم الأدباء ، ج .3. ص.463.

[3] – بغية الوعاة ، ج.2 .ص .132.

[4] – المنصف لابن جني،تح :محمد عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ط.1. 1999م ، ص.12 .

أ-سبب التسمية :

لقد أوردت تسميتين لكتاب ابن جني في مختلف المصادر التي بين أيدينا ، الأولى كانت باسم الخصائص وهي الأشهر والأدق فقد ذكره صاحب صاحبه باسم الخصائص في حين ذهب البعض الآخر إلى نعته بالخصائص في النحو: مثلاً(السيوطي) ذكره باسم«الخصائص في النّحو» [1] .كما أشار أيضا إلى ذلك (كارل بروكلمان) في كتابه « تاريخ الأدب العربي».

وقد وفق ابن جني في اختياره لهذا الاسم لكتابه (الخصائص) إذ نجد أقرب معنى لهذا الاسم هو (المميزات) وهذا اسم دقيق إذ لم يختر اسما يشير إلى اللّغة كما فعل غيره وهذا ليصلح أن يكون عنوان الكتاب يحمل قوانين عامة مختلفة تنظم اللّغة العربية .

إذ ذكر مصطلح الخصائص في كتابه يقول: «واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب واجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللّغة الشريفة من خصائص الحكمة... »[2].

ويتضح من ذلك أن الكتاب لم يخصص للغة أو النحو أو الصرف وأن عنوانه الكامل " الخصائص في النحو" وسمي بالخصائص لغرض الاختصار وهذا كما جاء في مختلف المؤلفات الأخرى مثل " سر صناعة الإعراب " فيقولون " سر الصناعة " وكذلك"الاقتراح في علم أصول النحو " فيطلق عليه " الاقتـراح ".

وجاء في المقاييس: في مادة خصّ « خَصَصْتُ فُلانًا بشيْءٍ ، خَصُوصية بفتح الخاء والخَصَصي : الخصوصية... » [3] .من خلال هذا نجد أن ابن جني أفرد كتابه هذا وخصصّه للغة العربية دون سائر اللغات .

---

[1] – بغية الوعاة ، ج.2، ص. 132.

[2] – الخصائص ،ج.1، ص.1.

[3] – مقاييس اللغة : ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تح :عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،1499هـ-1979م مادة (خصص)، ج.1، ص.575.

ب-السبب في تأليفه والهدف منه:

صرح ابن جنّي في مقدمة كتابه إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب حيث قال:«إن بعض ما يعتادني ويلم لقراءة هذا العلم بي ممن آنس بصحبته لي، وارتضى حال أخذه عني يسأل فأطال المسألة وأكثر الحفاوة والملاينة، وأن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب وأوليه طرفا من العناية والانصباب فجمعت بين ما اعتقد: من وجوب ذلك علي إلى ما أوثره من إجابة هذا السائل لي»[1].

وبهذا يكون سبب تأليفه الأول طلب تلامذته وأصحابه منه التأليف فألفه وجمع بين دفتيه ما يفقه فيه من علم والوصول إلى نتائج لغوية مميزة والنظر إلى مواضيع لم يسبقه إليها أحد من قبل حيث قال:« لم نر أحدًا من علماء البلدين ، تعرض لعمل أصول النحو ومذهب أصول الكلام والفقه » [2] .فقد طبق منهج الفقهاء وعلماء الكلام فهو السباق إلى هذا العلم(علم أصول النحو). ومن بين الدوافع أيضا إلى التأليف أن ابن جني لم يجد كتبا سبقته تختص في هذا المجال فما كان عليه سوى التأليف ليشبع غليل طلاب العربية وينمي عقولهم بتلك الأصول العربية.

ومن خلال تصفحنا لكتاب الخصائص لمسنا أن الهدف من تأليفه ليس البحث عن المشكلات الجزئية للغة ،إنما البحث عن المشكلات الكلية والذين ترجموا له عرفوا أن الكتاب وضع في النحو والتصريف ، إذ إنه أراد كتابا في أصول النحو حيث شهد القرن (4 هـ) اكتمال النحو و نضجه فاحتاج إلى البحث في أصوله حيث يقر بأنه لم يسبقه أحد من قبل والدراسات السابقة ماهي إلاّ في النحو قائلا فيه :« ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم لان هذا الأمر قد فرغ فيه في أكثر الكتب المصنفة فيه منه ، وإنما هذا الكتاب مبني

[1] – الخصائص ،ج.1. ص.3.

[2] – الخصائص ،ج.1. ص.2.

على اثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ و كيف سرت أحكامها في الاحناء والحواشي »[1].

فكل من الرفع والنصب والجر والجزم من علأمّات الاعراب وكما ذكرنا في سسب التّأليف فإنّ الهدف الاساس من الكتاب يرجع الى استجابة ابن جني لطلب تلامذته والسائل وأصحابه فيما يفقه حفاظا على اللغات وخاصة اللّغة العربية.

ج-مباحثـه:

كتاب الخصائص لابن جني زاخر بمختلف العلوم العربية من نحو وأصوله ولغة وصرف حيث تعددت أبوابه حتى وصلت إلى المائة والستين بابا إذ افتقدت هذه الأبواب إلى الترتيب المنطقي والتبويب حيث خلط بين أبواب، فأول باب بدأ به ابن جني هو باب الفصل بين الكلام والقول حيث قال فيه :« الكلام هو القول التام المستقل بنفسه، أمّا القول فيكون غير تام أو تام»[2].وهذه التفرقة اصطلاحية فقط، حيث اعتبر أن القول أهم من الكلام والحديث ، فالكلام أعلى المراتب من الحديث كما تطرق إلى باب آخر سماه القول في اللّغة وأصلها حيث سماه (باب القول على اللّغة) وباب (في النحو الإعراب والبناء وأصل اللّغة ونشأتها) فهو يعالج في كل باب مسائل شاملة عامة فمثلا في الصرف نجد أبواب سماها (باب الاعتراض الأصل والزيادة ، الإدغام الأصغر والساكن والمتحرك والحذف .....) والنحو كما تعرض لأدلة النحو من قياس وسماع واستحسان واستصحاب للحال(باب في جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو أكثر منه، باب في تعارض السماع والقياس، باب في الاستحسان...)وموضوعات في

[1] – المصدر نفسه ، ج.1.ص.32.

[2] – أئمة النحاة في التاريخ : محمد محمود غالي ، دار الشروق،جدة السعودية، ط.1. 1396هـ-1976م ، ص.53.

البلاغة إذ فرق بين الحقيقة والمجاز في باب اسماه (في فرق الحقيقة والمجاز) بالإضافة إلى موضوعات في العروض والقافية في باب (ذكر علل العربية الكلامية أم فقهية).

وكل هذه الأبواب أسهمت في بناء اللّغة العربية ووضع قواعدها وأسسسها وإرساء ركيزتها، والحفاظ عليها من اللحن والخطأ الذي شاع في القرآن الكريم لتبقى لغة خالدة راقية .

ونظرًا لكثرة هذه الأبواب وتشعّبها لم يسعنا الحظ لذكرها جميعا حيث أننا سنرتكز في بحثنا هذا على الأبواب التي تتضمن موضوع الفصاحة والحفاظ على اللّغة حيث حددناها فيما يلي:

1- باب ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر .
2- باب اختلاف اللهجات وكلها حجة .
3- باب الفصيح ينتقل لسانه .
4- باب العربي يسمع لغة غيره ، أيراعيها ويعتمدها ، أم يلغيها؟ .
5- باب في الامتناع عن تركيب ما يخرج عن السماع.
6- باب الشيء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره.
7- باب في اللّغة المأخوذة قياسًا.

د-منهجيته من خلال كتابه :

اعتمد ابن جنّي في كتابه الخصائص على منهج الوصف والتحليل فهو في أغلب أبوابه يصف الظاهرة اللغوية وما يدور حولها ثم يقوم بتحليل الأفكار وتقديم الشروحات وطرح الأسئلة والاستفسار ويبدأ بالإجابة عنها وكما سار على منهج الفقهاء وعلماء الكلام « فجاءت نهجيته

فريدة من نوعها فقد جمع إلى الوصف التعقيد والتنظير أيضا وكان معتمدا في ذلك منّا قال الدارسون على مظاهر ثلاث :المظهر اللغوي والمظهر الفقهي والمظهر الكلامي » [1].

أمّا فيما يخص أبواب الكتاب فإن البحث فيها ليس بالأمر الهّين لعدم اتباعه طريقة معينة في عرض مواده اللغوية إذ افتقدت إلى التبويب والترتيب كما لاحظنا أن عناوين الأبواب تتضمن تعقيبات فقد وردت قصيرة في بعض الأحيان نحو (باب تخصيص العلل ، دور الاعتلال ، اسقاط الدليل ....) وطويلة أحيانا أخرى مثل (باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني، الأخذ عن أهل المدر ،كما أخذ عن أهل الوبر ، باب العربي الفصيح ينتقل لسانه ، ...).كما ذكر ابن جني أن كتابه يقع في ألف ورقة[2]، وهو من أبرز كتبه حجما وأغزرها مادة وأكثرها شهرة، حيث ورد فيه أسماء كثير من كتبه السابقة.

[1] – علم أصول النحو ومصطلحاته ، ص .86 .

[2] – الفسر لابن جني، تح: رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، ط .1، 2004 م ، ص .134.

الفصاحة كما يراها ابن جنّي :

1- في ترك الأخذ عن أهل المدر، كما أخذ عن أهل الوبر :

المقصود بأهل المدر: أهل المدن والحضر هم الذين يسكنون المدينة و سميت بالحاضرة لأنّ بيوتها تكون في المدر هي عكس الوبر أي البادية.

وابن جنّي لم يأخذ عن حضري قط لأن الحاضرة مركز اجتماع الناس حيث يأتي إليها من كل مكان خاصة للتجارة والتعلم مما يجعل لغتها فاسدة أي متعددة وبالتالي فساد الألسنة.

إذ أفرد ابن جني في كتابه الخصائص بابا خاصا بهذا المعنى حيث سماه " باب في ترك الأخذ عن أهل المدر، كما أخذ عن أهل الوبر " قال فيه :«علّة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل . ولو علم أن أهل المدينة باقون على فصاحتهم ، ولو يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر»[1].

وفي ضوء ما ذكره ابن جنّي يمكننا القول إنّ الحاضرة ليست مانعة من الاحتجاج بها وإنما يمنع الاحتجاج بكلامها أهلها نتيجة اختلاط العرب واختلاف اللهجات فيها فهم يحتكون بغير العرب ويحتكون بالأعاجم نتيجة التجارة والأسر والحج وغيرها ولهذا يجعل أبا الفتح الفصاحة مقياسا للأخذ والسماع ، فيمنع الأخذ عن أهل المدر نظرًا لاختلال لغتهم وفسادها ويضيف قائلاً : « لو ساد لغة أهل الوبر اضطراب الألسنة وخبالها وانتقضت عادة الفصاحة عندهم وانتشرت لوجب رفض لغتهم فيجعل الفصاحة هي الحكم على العربي» [2].

ولهذا السبب لا يمكن الأخذ والاحتجاج بلغة أهل المدر وكذلك لو شاع الاختلال والفساد والخطل عند أهل الوبر لتركت لغتهم أيضا، فمعيار الاحتجاج والاستدلال والاستشهاد

[1] – الخصائص ابن جني ، ج.2، ص.5.

[2] – علم أصول النحو ومصطلحاته ، ص.123.

وعدمه ينحصر في الفصاحة بقاؤها أو عدمه ، فمن بقيت فصاحته وجب قبول لغته وإن كان من أهل المدر وأمّا من زالت عن الفصاحة لم يؤخذ بكلامه ولو كان من أهل الوبر .

كما تطرق إلى هذا الباب(السيوطي) في كتابه (الاقتراح) في الفرع الخامس سماه (علة امتناع الأخذ عن أهل المدر) ناقلاً لقول ابن جني مضيفا بعض الشروحات لمصطلحات القول من بينها « المدر : الطين اللزج المتماسك ، والقطعة منه : مدرة وأهل المدر : سكان البيوت المبنية ، وخلاف البدو سكان الخيام، الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها ... وأهل الوبر : أهل البادية »[1].

ومعنى هذا أنّ أهل الوبر باقون على اللّغة العربية محافظين عليها لأنهم لم تتغير لغتهم بحكم أنّهم لم يختلطوا بغيرهم فهم أهل القرار والحكم حيث ترجع بعض الروايات أن أهل الوبر لا يسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على فساد لسانهم و الحاضرة لست مانعة للاحتجاج فمتى وجدت وانتشرت الفصاحة وقويت اللّغة وجب الاحتجاج والاستشهاد بها .

وقد قال الفراء في بعض كلامه: « إلا أن تسمع شيئا من بدوي فصيح فتقوله »[2] .وهذا راجع لجودة و سلامة لسان البدوي الفصيح من الخطأ في التعبير فتقول ما تسمعه عنه وذلك لسليقته وسلامة لسانه من الفساد والزيغ فيقبل كلامه ويكون موقعه في النفوس متميز كما ضرب لنا ابن جني بعض الأمثلة نحو: (أشئؤها ، وأداؤها بوزن أشعها وأدعها) فجمع بين الهمزتين فحسب رأي ابن جني انه لو التقت همزتان عن وجوب صنعة للزم تغير إحداهما فكيف أن يقلب الهمزة قلبا ساذجا فهذا ما لا يتيحه القياس ولا ورد بمثله سماع .

[1] – الخصائص ، ج .2 ، ص .5.

[2] – علم أصول النحو و مصطلحاته، ص.123.

ومن ثمّة فإنّ علماء العربية قد أعادوا النظر عمن يؤخذ منهم اللّغة حيث يشترط أخذها ممن فصح لسانه ووثق فيه ونستدل بذلك بقول(سيبويه) في كتابه (الكتاب) «وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به » [1]، حيث نلحظ من قول(سيبويه) أنه ينقل من العرب الثّقاة وهم الذين لم يعرض لكلامهم ما يمنع من أخذه والاحتجاج به ومن أجل ذلك وجدنا ابن جنّي لا يثق بكل أعرابي ، وإن كان أكثر كلامه مقبولاً ولا سبيل إلى الطعن في فصاحته بل يدعو إلى الاطمئنان حيث إنّ لغته ليس فيها ما يقدح في فصاحتها أو ينال منها أو يغض من شأنها.

فمن خلال قول ابن جنّي في هذا الباب فإننا نحكم عليه بأنّه جعل الأعراب مصدر الثقافة معتمدًا على طريقة المشافهة لتلقيه اللّغة الفصيحة ويثق في بني عقيل حيث تذكر بعض المصادر أنه استشهد بأحد معاصريه وهو أبو عبد الله الشجري الذي كان يأنس بكلامه وشعره فقد اخذ بتكسير فعل على فعلان ورغم ذلك كان ابن جّني من التسمح أن احتج به .

2-باب اختلاف اللغات وكلها حجة :

والمقصود باللغات لهجات القبائل حيث تتباين هذه اللهجات العربية فيما بينها فالقرآن الكريم نزل على خاتم النبيين بسبع لغات حتى يفهمها أهلها فلهجة البادية تختلف عن لهجة أهل مكة وعن لهجة أهل الحجاز.

فهناك فوارق لهجية واضحة تظهر أثناء الحديث من اختلاف في الأصوات وزيادات في بعض الحروف والاستعمال المختلف للمفردات... وهذا الخلاف في اللهجات العربية ليس خلافا في المسائل الأصولية، إنما خلاف في الفروع، فالأصول ثابتة لا تتغير، فنتيجة الجوار والسكن كانت القبائل متباعدة فلا يمكنها التفاهم فيما بينها فكان للأسواق وخاصة سوق المربد وعكاظ والمساجد العلمية والغزوات والحج والأسر وغيرها دورًا كبيرًا في لم شمل هذه القبائل وتقريب

[1] – الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1988 م، ط..3، ج.1، ص.52.

وجهات النظر واتصال العرب بعضهم ببعض محاولة للحفاظ على أصول اللّغة العربية وبالتالي الحفاظ على(القرآن الكريم) كتاب الله .

إذ يقول ابن جنّي في كتابه الخصائص في باب اختلاف اللغات وكلها حجة : «اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ، ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أنّ لغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس ولغة الحجازين في إعمالها كذلك ، لأنّ كل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله »[1] .

يعتبر القياس من أدلة النحو عند أغلب النحاة، وقد قسمها ابن جنّي إلى قياس وسماع وإجماع واستحسان، كما اختلف النحاة في تقسيمها فجعلوا القياس والسماع من الأدلة النحوية الأصولية ، أمّا الإجماع والاستحسان والاستصحاب فقد اختلفوا فيها وجعلوها أدلة فرعية يستدل بها كتابه مبني على أصول حنفية حيث ينتسب إلى المذهب الحنفي أمّا في بعض المواضع فهو ينسب نفسه إلى المذهب البغدادي الذي هو عبارة عن تخيير وانتخاب لأراء كل من المذهب البصري والمذهب الكوفي.

وقد كان ابن جنّي مولعًا بالقياس وكثير الأخذ به فالقياس عند علماء القرنين الأول والثاني هجري كان يراد به وضع الأحكام و القواعد العامة أمّا في القرن الرابع هجري فيراد به معنى جديد وهو:« استنباط شيء جديد في اللّغة لم يسمع من العرب قياسا على ما تكلمت به العرب»[2].

[1] – الخصائص ، ج.2 ، ص .7.

[2] – ابن جني عالم العربية ، ص. 55.

ورغم حرصه على القياس إلاّ أنّه يؤكد حقيقة لغوية مهمة تتجلى في قوله :« أن اللّغة لا يمكن أن تؤخذ كلها قياسا »[1].

ومعنى هذا أن القياس وحده غير كاف فلا بد من السماع وأن القياس يكون على الكثرة وإذا تعارضا كل من القياس والسماع فقد نص ابن جني أنه يستلزم المسموع والكثرة هي الحكم وتصحيح ما ورد عن كلام العرب .وإذا احتج بهذه اللّغة يعني جواز استعمالها وجواز القياس عليها والاحتجاج بها .

أمّا عن مسألة الخلاف في هذا الباب فتظهر في " ما " فهي تختلف بين لغة التميميين ولغة الحجازين حسب رأي ابن جني ،أمّا عند التميميين فهي ترك إعمال "ما " مثلاً في قولك :

ما زيُدُ منطلقًا .

فبنو تميم يجرونها مجرى أمّا و هل ، أي لا يعملونها في شيء وهو القياس لأنه ليس بفعل وليس "ما " كـ " ليس " ولا يكون فيها إضمار[2].

وقد ورد هذا الخلاف في كتاب (سبويه) في باب سماه " هذا باب ما أجرى مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أهله ".

أمّا أهل الحجاز فيشبهونها بـ " ليس " فإذا كان معناها بمعنى ليس فهي لنفي الحال عند الإطلاق فيرفعون بها الاسم وينصبون الخبر نحو : ما زيدٌ قائمًا ، قال تعالى : ﴿ **ما هذا بشرًا**﴾ **[يوسف ، الآية 31].**

كما وردت هذه المسألة في كتاب (الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي) في الفرع الرابع سماه " اختلاف اللغات وكلها حجة " ناقلاً قول ابن جني في هذا الباب واضعًا ستة شروط لما

[1] – الخصائص ، ج.2، ص .172.

[2] – الكتاب لسيبويه، ص.58.

الحجازية حيث لا يمكن أن تعمل في الحالات الآتية[1]:

1-ألا يزاد بعدها (إن) فإن زيدت بطل عملها نحو : ما إن زيدٌ قائمٌ.

2-ألا ينتقض النفي بـ (إلا) نحو : - ما زيدٌ إلا قائمٌ .

3- ألا يتقدم خبرها على اسمها ، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإن كان تقدم وجب رفعه نحو : ما قائمٌ زيدٌ .

4- ألا يتقدم معمول خبرها على الاسم وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإن كان تقدم بطل عملها نحو : ما طعامك زيدٌ آكـلٌ .

5- ألا تتكرر (ما) فان تكررت بطل عملها نحو : ما ما زيد قائم ، فالأولى نافية والثانية نفت النفي فبقى إثباتا .

6- ألا يبدل من خبرها موجب ، فإن بطل عملها نحو : ما زيد بشيء إلا لا يعبأ به ، فبشيء خبر عن المبتدأ (زيد) .

وحسب ما استنبطتاه من رأي ابن جني أنه ليس علينا أن نغلب لغة على لغة أخرى ونقيس عليها ، بل يجب علينا أن نتخير إحدى اللغات الصحيحة والقوية ونستدل بها على لغة أخرى وان نقيس على الأقوى والأشد .

فإذا قلت لغة واندثرت وكثرت لغة أخرى فإننا نأخذ بالأوسع رواية والأقوى ونقيس عليها وقد استدل ابن جني بقوله " مررت بك و لا مال لك "وهذا قياسا على قضاعة " المال له ومررت به"[2].

[1] - الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي،قراءة وتعليق:محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د. ط ،2006م ص.130.

[2] - الخصائص ، ج.2، ص.11.

وأن لا نقيس ولا نقول : أكرمتكش و لا أكرمتكس قياسا على لغة مررت بكش وعجبت منكس والتي أصلها مررت بك وعجبت منك فهم يضيفون حرف السين أو الشين في أواخر الملكات ليميزون بين المذكر والمؤنث ، فإذا ذكر حرفي (السين أو الشين) علم أن المخاطب مؤنث أي تتجاوز لغة (بكش ، منكش) لضعفها وقلة استعمالها .

ويقال إن لغة قريش ارتفعت في الفصاحة ، أمّا لهجة تميم فيطلق عليها العنعنة وذلك أنهم يستعملون(عن) في بداية كلامهم ويقال كشكشة ربيعة مثلا (رأيتكش) وكذلك كسكسة هوزان ومثال عن ذلك : أعطيتكس ويقال أيضا تضجع قيس وتعجرفية ضبة وتلتلة بهراء فهك يقومون بكسر أوائل الحروف فيقولون : تِفعلون ، تِعملون ، تِصنعون بالإضافة إلى أن قبيلتي أسد وقيس روي عنهما ذلك وأنهما كانا يستعملا الكسر في أوائل حروفها[1] .فإذا استعمله الإنسان لم يكن مخطئًا لملائم العرب لكنه مخطئا لأجود اللغات ، فهي تجوز في الشعر والسجع ، ولا حرج فيها لضرورة شعرية ولا يقاس عليها ولا يؤخذ بها لضعفها وقلة استعمالها ، بل يقاس على الصحيح منها والأجود والأكثر استعمالاً والأشيع .

وختم ابن جنّي بابه هذا بقوله :« وكيف تصرف الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه »[2].

فمن خلال باب اختلاف اللغات وكلّها حجة يتضح أنّه لا يمكن أن يحتجّ بأيّ لهجة من لهجات العرب فإذا احتجّ بها يعني جواز استعمالها بل جواز القياس عليها.

[1] – الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها : الرازي ، مكتبة المعارف ، بيروت، لبنان ، ط. 1، 1993م، ص .56.

[2] – الخصائص ، ج.2، ص.11.

3- في العربي الفصيح ينتقل لسانه :

وحسب رأينا في هذا الباب فإنّه يقصد بالعربي الفصيح الأعرابي أو البدوي الذي حافظ على سلامة لغته وأصبحت لعته يؤخذ بها ويحتج بكلامه وهذا ما يعني أن لغته سليمة قوية أمّا ينتقل لسانه أي يفارق لغته المعروفة ويغيرها وينتقل إلى لغة أخرى ثانية يتكلم بها .

حيث عقد ابن جنّي بابا سماه (باب العربي الفصيح يتنقل لسانه) حيث يقول:« اعلم أن المعمول عليه في نحو هذا أن تنظر حال ما انتقل إليه لسانه . فان كان إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها ، كما يرخ ذبها قبل انتقال لسانه إليها، حتى كأنه إنما حضر غائب من أهل اللّغة التي صار عليها ، أو نذق ساكت من أهلها »[1].

فقد اهتم ابن جنّي باللّغة العربية الفصيحة فهي لغة القرآن الكريم أي اللّغة الخالدة حيث تنتقل عن طريق اللسان وأن لكل عربي لسان ينطق به كما أن للمجتمع الواحد لهجات مختلفة فإذا انتقل الإنسان إلى بيئة ما غير بيئته وكأنما انتقل من لغة إلى لغة أخرى حيث تؤثر البيئة في لغة الإنسان فإذا كانت لغته التي انتقل إليها (اللّغة الثانية) فصيحة صحيحة وجب الأخذ بها وأمّا إذا كانت هذه اللّغة فاسدة لم يؤخذ بها ويرجع إلى لغته الأولى أي اللّغة الأم .

وكما يتضح من قوله أنّه لا يؤخذ عن أحد أو عربي حتى تقوى لغته وتشيع فصاحته ، فالعربي الفصيح ينتقل لسانه من لغته المعروفة إلى لهجة أخرى فإن كانت اللّغة الثانية فصيحة وجب الأخذ بها أي بما انتقل إليه لسانه كما يؤخذ بالمنتقل عنه وصح الأخذ يهما معًا لسلامة اللغتين والصواب الأخذ بما عرف صحته ولم يظهر فساده .

و لا تحلو اللّغة التي انتقل إليها لسانه إلاّ في الحالتين الآتيتين:

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.8.

1-أن تكون اللّغة التي انتقل إليها لسانه قد سلمت من اللحن والاختلال والفساد كأنّه انتقل من لغة فصيحة مستحكمة إلى لغة أخرى فصيحة ويظهر ذلك في قوله فإنما انتقل لسانه من لغته إلى لغته مثلها أي فصيحة مقبولة فيجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها فكأنه أحد أبنائها وقد كان غائبا فحضر أي كما قال ابن جني حضر غائب من أهل اللّغة أو نطق ساكت من أهلها .

2-أمّا إذا كانت اللّغة التي انتقل إليها فاسدة ضعيفة وجب رفضها ولم يعبأ بها مخافة أن يكون فيها زيغ وميل وانحراف عن الصواب فإذا شاع الخطأ وجب الابتعاد عن تلك اللّغة وعدم الأخذ بها وردها والعودة به إلى اللّغة الأولى التي اشتهر بالفصاحة بها .

كما نبّه ابن جنّي إلى أن الزيغ في اللّغة حادث لا نعلمه ولا نطلع عليه نحن الآن في الوقت الحاضر لخفائه ويجوز أن تعلمه بعد زمان فإذا ظهر الخطأ فإنه لا يمكن ستره لظهوره وقد عاش عصرًا ساد فيه اللحن وفساد واضطراب الألسن ونستدل بقوله : « فان قلت :فما يؤمنك أن تكون كما وجدت في لغته فسادًا بعد أن لم يكن فيها فيما علمت ، أن يكون فيها فساد آخر فيما لم تعلمه . فإن أخذت به كنت آخذا بفاسد عروض ما حدث فيها من الفساد فيما علمت ... »[1].

فإذا فسدت اللّغة فلا يجب الاحتجاج بها والقياس عليها .

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.9.

4- في العربي يسمع لغة غيره ، أيراعيها ويعتمدها ، أم يلغيها ؟

فمن خلال عنوان الباب يتبين لنا مدى أهمية اللّغة المسموعة والتي تعتبر هي الأصل عند العربي فهل يتقبلها ويراعي ويطبق قوانينها أم يرفضها ويعلل ذلك ابن جني شأنه شأن سلفه لا يقبل ما يسمع عن العرب بل يمتحنهم ويتحقق من فصاحتهم .

فابن جنّي يختار ما يسمع من الفصيح ويتثبّت فيه حيث لاحظنا أنّ معظم الأبواب مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا فهو يتطرق لبعض المسائل معتمدا على الوصف والتحليل ناقلا عن شيوخه فيقول: « أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سألت خليلا عن الذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا في بيأس: ياءس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها. قال –يعني الخليل–: ومثله قول العرب من أهل الحجاز: "ياتزن وهم ياتعدون، فروا من يوتزن ويوتعدون". فقوله: أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها يحتمل أمرين :أحدهما أن يكون يريد: أبدلوا الياء في بيأس، والآخر: أبدلوا الياء في أخويك ألفًا، وكلاهما يحتمله القياس ههنا »[1].

إن أكثر العرب يجوز لهم أن يبدلوا ياء أخويك في لغة غيرهم وهناك من جعل الياء ألفًا في لغتهم استخفافًا للألف على الياء، ويؤكد ذلك أنهم يجعلونها في النصب والجرِّ ياء.فلما كان الأكثر هذا شاع على أسماعهم فراعوه وقاسوا عليه ولم تكن الياء في التثنية شاذّة ولا دخيلة في كلام العرب .

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.9.

5- في الامتناع عن تركيب ما يخرج عن السماع :

يقول ابن جنّي في بابه هذا مشيرًا إلى الامتناع عن تركيب ما يخرج عن السماع : سألت أبا علي -رحمه الله- فقلت: من أجرى المضمر مجرى المظهر في قوله :أعطيتكمه فأسكن الميم مستخِفًّا كما أسكنها في قوله: أعطيتكم درهمًا، كيف قياس قوله على قول الجماعة: أعطيته درهمًا إذا اضمر الدرهم على قول الشاعر[1]:

لَهُ زَجَل كأنه صوتُ حَادٍ إذَا طلب الوَسِيقة أو زَمِير

حيث رصد في هذا الباب بعض المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين نذكر منها ما يمتنع فيها الإضمار أو يجوز مع بعض التغيير ويجوز أن يعمل في الحال غير العامل في صاحبها فمن باب الامتناع من تركيب ما يخرج عن السماع حيث إنّ مغزى الفكرة هو هل يجوز إجراء المضمر مجرى المظهر كقول العرب أعطيتكمه بإسكان الميم للاستخفاف كما أُسكنتُ في قولهم: أعطيتكم درهًا ؟.

أمّا إذا وقع الإضمار في القافية فانه لا يجوز واستندنا بقوله :« إذا وقع ذلك قافية؟ فقال: لا يجوز ذلك في هذه المسألة، وإن جاز في غيرها، لا لشيء يرجع إلى نفس حذف الواو من قوله: كأنه صوت حادٍ لأن هذا أمر قد شاع عنهم، وتعولمت فيه لغتهم، بل لقرينة انضمّت إليه ليست مع ذلك، ألا ترى أنه كان يلزمك على ذلك أن تقول: أعطيتهه خلافًا على قول الجماعة : أعطيتهوه. فإن جعل الهاء الأولى رويًّا والأخرى وصلًا، لم يجز ذلك؛ لأن الأولى ضمير والتاء متحركة قبلها، وهاء الضمير لا تكون رويًّا إذا تحرك ما قبلها»[2] .

وقد حذفت الواو من صدر البيت واستبدلت لأنه أمر شائع عندهم والضرورة الشعرية تبيح ذلك

[1] - الخصائص ، ج.2، ص.11.

[2] - المصدر نفسه ، ص.11.

واستدل بمثال نحو : أعطيتهه أمّا الجماعة فنقول : أعطيتهوه ، فالأولى رويا والأخرى وصلاً وقد تكون الولو ردفًا والهاء بعدها رويا وجاز أن يكون بعد الواو رويا لسكون ما قبلها.

6- الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره

الفصاحة عند ابن جنّي هي البيان والإعراب والابتعاد عن فساد الألسن واختلالها واضطرابها كما ذكرنا سابقا وابن جني منع الأخذ عن أهل المدر وأخذ عن أهل الوبر والذي ذكره في الباب الأوّل من الجزء الثاني باسم(ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) وعن الأعرابي الفصيح صاحب القرار و الثقة في باب (العربي الفصيح ينتقل لسانه).

فالأعرابي يتصف ببعض الصفات مما يجعل لغته قوية وكثيرة الاستعمال فيستدل بها ويحتج ويقاس عليها و لا يسمع من غيرة ويقصد بذلك أهل المدر وعدم الثقاة وقد عقد بابه هذا بالأدلة النحوية وهي السماع إذا أن أصل اللّغة المسموع فالسماع هو الأصل.

واللّغة عند ابن جنّي قسمان ، قسم يدرك بالقياس وآخر لا يؤخذ إلاّ سماعا وهو يرى أن ما لا يؤخذ بالسماع هو الباب الأكثر حيث عقد باب الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيرة قائلا :« وذلك ما جاء في تلك الأحرف المحفوظة عنه ، قال احمد بن يحي حدثني بعض أصحابي عن الأصمعي أنه ذكر حروفا من الغريب ، فقال : لا أعلم أحدا أتى بها إلى ابن الأحمر الباهلي منها الجبر وهو الملك وإنما سمى بذلك – أظن– لأنه يجبر بجوده »[1].

وذلك بقوله:

اسْلَمْ بِرَاوُوقَ حَيْثُ بِهِ وَأَنْعِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الْجِبْرُ[2] .

في هذا الباب نجد بعض المصطلحات الغربية التي انفرد بها ابن الأحمر مثل: كأس رنوناة :

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.13.

[2] – المصدر نفسه ، ص.13.

أي دائمة مارية لؤلؤية لونها لون اللؤلؤ ، والمارية : البقرة الوحشية و البابوس: ولد الناقة ففصاحة ابن الأحمر جعلت ابن جني يثق ويتثبت فيه عن ابن الأحمر أخذ عمن ينطق باللّغة القديمة و لم يسمعها احد قبله فهو فصيح وكقوله : الذرحرح فهو يشك أن يكون شيئا ارتجله ابن الأحمر الحيرم : البقر .

ويضيف ابن جنّي أنّ الأعرابي إذا قوبلت فصاحته سميت طبيعته وتصرف وارتجل ما لم يسبقه قبله أحد أمّا اذ لم ترق فصاحته كان مردودا غير متقبل ويرفضه القياس رغم كثرة قائله فهو ضعيف ويشترط ألا يسمع الفصيح لغة غيره مما ليس فصيحا و لا يتقبلها لان أصلها فاسد ومن ابن الأحمر ينتقل ابن جنّي إلى رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعها أحد من قبل .

7- في اللّغة المأخوذة قياسا :

إنّ أصل اللغات كلها هو الأصوات المسموعة، فاللّغة ضربان لغة مسموعة ولغة يقاس عليها فاللّغة سماع وقياس فالسماع هو الأصل أمّا القياس فما هو إلا فرع وهو الدليل الأساس لمعرفة أصالة الحروف وزيادته وعدمه فيقول: «اعلم أن التاء ميزانا وقانونا يعرف به من طرف القياس كونها أصلا زائدة»و « قليل في الاستعمال ضعيف في القياس »[1] مع ذلك يغلب السماع على القياس إذا عارض القياس حيث أورد له بابا اسماه (باب في تعارض السماع مع القياس) وكان ابن جني يطرد القياس إلى ما استطاع متأثر بأستاذه الفارسي حيث كانت مهارة الفارسي في القياس محط إعجاب وتعجب ابن جني ليقول :« ولله هو عليه رحمته فما كان أقوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف الشريع انسه فكأنه كان مخلوقا له»[2].

[1] – الفسر لابن جني ، ص .304.

[2] – المصدر نفسه ، ص.195.

ويرجع الفضل إلى هذين العالمين الجليلين إلى تأصيل القياس وتقعيده ،فكان العلماء يصنفون إلى بصريين وكوفيين على أساس مسألة القياس والسماع فالكوفيين أصحاب قياس حيث نجد كلمة الكسائي المشهورة " إنما النحو قياس يتبع ".

فالأصل في اللّغة أن تؤخذ سماعا وتنقل من جيل إلى آخر فالمتكلم يقس ما لم يسمعه على ما سمعه ، وقد أورد ابن جني أبوابا متعددة في هذا المجال فكلام العرب منه ما لا يدخل تحت قياس كباب ودار ومنه ما يدخل تحت القياس حيث يحتج بالأمثلة الآتية :

وأكباد، وقفل وأقفال، وحمل وأحمال. والرجز هو العذاب، فتقول : أرجاز قياسًا على أحمال سواء سمعت أرجاز أو لم تسمعها فانك تقيس عليها و عجر: أعجار قياسًا على يقظ وأيقاظ، و دمثر: دماثر، قياسًا على سبطر وسباطر.

وقد عقد ابن جني بابا في مسألة القياس سماه (باب في اللّغة المأخوذة قياس) حيث يقول: " هذا موضع كأنَّ في ظاهره تعجرفًا، وهو مع ذلك تحت أرجل الأحداث ممن تعلق بهذه الصناعة، فضلاً عن صدور الأشياخ. وهو أكثر من أن أحصيه في هذا الموضع لك، لكني أنبِّهك على كثير من ذلك لتكثر التعجب ممن تعجب منه، أو يستبعد الأخذ به. وذلك أنك لا تجد مختصرًا من العربية إلّا وهذا المعنى منه في عدة مواضع، ألا ترى أنهم يقولون في وصايا الجمع: إن ما كان من الكلام على فعلٍ فتكسيره على أفعل، ككلب وأكلب، وكعب وأكعب، وفرخ وأفرخ " [1] .

فحسب رأي ابن جني أنه إذا كان الفعل ثلاثي فتكسيره يكون على وزن أفعل وإن كان على غير أبنية الثلاثي فتكسيره في القلة على وزن أفعال وأعطى أمثلة يستدل بها نحو : جبل وأجبال، وعنق وأعناق، وإبل وآبال، وعجز وأعجاز، وربع وأرباع، وضلع وأضلاع، وكبد

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.40.

ويضيف قائلا :« إن كان الماضي على فَعَلَ فالمضارع منه على يَفْعُل، فلو أنك على هذا سمعت ماضيًا على فعل لقلت في مضارعه: يفعل، وإن لم تسمع ذلك؛ كأن يسمع سامع ضؤل ولا يسمع مضارعه فإنه يقول فيه: يضؤل، وإن لم يسمع ذلك، ولا يحتاج أن يتوقف إلى أن يسمعه؛ لأنه لو كان محتاجًا إلى ذلك لما كان لهذه الحدود »[1] .

وهي عبارة عن قوانين وأحكام وضعها المتقدمون للمتأخرين حيث يتمكن القوم من معرفة الماضي والمضارع وأسماء الفاعلين والمفعولين و المضارع هو الأصل.

ويضيف أن القوم وزنوا كلام العرب فوجدوه ضربين :

1-لا بد من تقبله كهيئته (كما هو) دون تبديل أو زيادة نحو: حجر ودار .

2-كما وجدوه يتدارك القياس نتيجة ما بدلوه من السماع والروايات .

وحدد في كتابه سر صناعة الإعراب أن اللّغة الأكثر قياسا هي لغة أهل الحجاز قائلاً : «اللّغة الأولى أكثر وأقيس وهي لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن الكريم»[2].مضيفًا أن القرآن بهذه اللّغة نزل ولغته أفصح اللغات.

ثم ينبه إلى أن اللّغة ليس كلها قياسا قائلاً: « ومعاذ الله أن ندعي أن جميع اللّغة تستدرك بالأدلة قياسًا ،لمن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ونبهنا عليه، كما فعله قبلنا ممن نحن له متبعون »[3]. ويقصد بالمتبعين شيخه الفارسي حيث كان شديد التعصب للقياس وهو القائل: « أخطئ في خمسين مسألة في اللّغة ولا أخطئ في واحدة من القياس »[4]. فمنهجه هو منهج شيخة في القياس حيث يتلخص في :

---

[1] – الخصائص ، ج.2، ص.41.

[2] – سر صناعة الإعراب: ابن جنّي ،تح : حسن الهنداوي،ج.2 ، دار القلم ، دمشق ، ط.2 ، ص .165 .

[3] – الخصائص ،ج. 2، ص. 43.

[4] – الفسر ، ص.200.

1- ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

2- القياس يكون على لغة العرب ومذاهبهم.

3-اللّغة تؤخذ عن طريق القياس والسماع وبعضها لا يعلم إلا من جهة السماع.

4-إذا تعارض القياس والسماع وجب طرح القياس للسماع .

5-لا يقاس على كل مسموع بل على كل مستمرا.

6-الشاذ لا يقاس عليه.

أ-**ترجمة حياته**

هو العالم اللّغوي وشيخ النّحويين أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد الجرجاني الإمام النّحوي ،المتكلّم على مذهب الأشاعرة، الفقيه الشافعيُّ[1]فارسيُّ الأصل جرجانيُّ الدار عالم بالنّحو والبلاغة.[2]

ولد عبد القاهر مطلع القرن الخامس الهجري بجرجان إحدى المدن الفارسية المشهورة والواقعة بين طبرستان و خرسان[3]، سنة 400 هـ الموافق لـ 1010 م، وهو ينحدر من أسرة رقيقة الحال وقد ظلّ في جرجان ولم يبرحها طوال حياته.

أخد النّحو عن الشيخ أبي الحسن محمّد بن حسن بن محمّد بن عبد الوارث الفارسي نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه قرأ في تصانيف النُحَّاة و الأدباء وتصدّر بجرجان وحثّت إليه الرّحال، وصنّف التصانيف الجلّيلة، فضلا عن ذلك كان له شعر رقيق[4].

اختُلِف في سنة وفاته، فقيل إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة إلا أنّه خلف لنا تصانيف رائعة امتازت بالبلاغة التامة والفصاحة البليغة التي يستطيع الباحث العودة إليها متى وكيفما شاء لسهولة ألفاظه ولرونقها، فقد كانت تلك التصانيف في كل موضوع تقريبا-فرحمة الله عليه-.

---

[1] – ينظر البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي:عبد العاطي غريب،دار الجيل بيروت، ط.1. 1993م. ص.28.

[2] – انباه الرواة على أنباء النحاة: القفطي، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي،القاهرة،مصر، ومؤسسة الكتب الثقافية،بيروت، لبنان، ط.1. 1406هـ-1986م. ج.2. ص.188.

[3] – نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني: وليد محمد مراد،دار الفكر، دمشق، سورية ط.1. 1403هـ-1983م .ص.46.

[4] – مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يقصر من حوادث الزمان: ابو محمد عبد الله المكي،بيروت ،لبنان ج.3.ص.101.

وقد أُرّخت له مراجع[1] تاريخية وثقافية عديدة، وهي على التوالي :ترجم له السّيوطي في كتابه (بغية الوعّاة)، و الحافظ الذهبي في تاريخه (دول الإسلام)، والسّبكي في (طبقات الشافعية) وابن العماد في كتابه (شذرات الذهب)، وصاحب كتاب (فوات الوفيات) محمّد الكتبي.

وهي كتب لم تؤرِّخ لحياة العلامة الجلّيل تأريخا مفصّلا، بل كان جلّ اهتمامه منصبّا على أصالته العلمية ومكانته الدّينية وشهرته النّحوية التي ذاعت بالأصقاع، ثم مدينته وما فيها من مزروعات و أشجار مثمرة، وأهلها وما اتصفوا به من أخلاق حميدة.[2]

ب) ثقافته و علمه:

تتلمذ عبد القاهر على يد أستاذ واحد هو الإمام النّحوي أبو الحسن محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عبد الوارث، وهو ابن أخت أبي علي الفارسي[3]، وتثقّف على يده، وأخذ عنه جلّ علمه، ودرس عنده كتاب "الإيضاح" وقد عني عبد القاهر بهذا الكتاب عناية كبيرة، فوضع عليه شروحا كبيرة في ثلاثين مجلّدا أسماه "المغني " ثم اختصر هذا الشرح في ثلاث مجلّدات بكتاب سمّاه المقتصد[4].

ولكنّ عبد القاهر لم يقف في تعلّمه وأخذ علمه عن شيخه المفضّل الذي كان يشير إليه دون أن يذكر اسمه، ويكتفي بالقول : "وقال شيخنا رحمه الله" أو "أنشدنا شيخنا رحمه الله" أو "حكى شيخنا رحمه الله "[5]، بل قرأ الكتب الكثيرة التي موضوعها اللّغة والنّحو والبلاغة والأدب بعقل وفكر

[1] – ينظر فوات الوفيات: محمد الكتبي .ج.1. ص.297. بغية الوعاة: السيوطي، ص.177، شذرات الذهب: ابن العماد .ج.2.ص.240.

[2] – نظرية النظم و قيمتها العلمية ، ص.47.46.

[3] – المرجع السابق، ص.46–48.

[4] – البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، ص.28.

[5] – دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.5. 2004م. ص .176.132.112.

واع للكثيرين الذين اشتهروا باللّغة و النّحو والبلاغة والأدب[1] ، فقد قضى حياته في البحث والدراسة والاطلاع والتأليف، كانت ثقافته ثقافة عربية خالصة، وقد أعانه عقله وذكاءه على استيعاب كل ما كان في عصره من ثقافة، كما مكّنته مواهبه من الاستفادة ممّا كتبه العلماء و الأدباء الذين سبقوه[2] أمثال: كتاب سيبويه، وما كتبه الجاحظ والمبرّد،وابن دريد والعسكري والمرزباني والفارسي و الآمدي والقاضي الجرجاني وابن جنّي[3]، ولقد عرف شيوعه الفكري في العلوم اللّغوية منها النّحو والبلاغة، وهو ما يحيل إلى بروز كفاءته، وتدل كتبه التي وصلتنا عنه على غزارة فكره، وقد عدّ النّحو و البلاغة من أكثر المسائل التي خاض فيها ،و كثيرا ما ربطها بالدراسات القرآنية.

وكان ثمرة هذا الإطلاع الثقافي الواسع أن تصدّر جرجان وذاع صيته و شُدّت إليه الرّحال من قبل طلاب العلم في زمانه، يقرؤون كتبه ويأخذون عنه علمه، ومن طلاّبه يحي بن علي الخطيب التيريزي، وكذلك طلاّب آخرين ذكرتهم كتب الروّاة أمثال نصر بن أحمد بن ابراهيم بن محمّد الشجري، وأحمد بن عبد الله المهابدي الضّرير صاحب "شرح كتاب اللّمع" لابن جنّي.

ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نقول بأنّ حياة عبد القاهر الفكرية كانت تمثل صورة عصره المزدهر أصدق تمثيل ، والمتمثل في امتزاج الثقافات المتنوعة والمختلفة من عربية، فارسية هندية ويونانية وتلك حتمية احتكاك الحضارات الإنسانية بعضها ببعض وانتقالها بين الأمم .

ج) مؤلفاته وآثاره:

أولا: في النثر :

مصنّفات عبد القاهر عديدة و متنوعة حسب تنوّع ثقافته القرآنية والنّحوية و البلاغية، ذكرتها كتب

[1] – نظرية النظم و قيمتها العلمية ، ص.49.

[2] – البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين،ص. 29.28.

[3] – نظرية النظم ، ص.46.47.

التراجم وأكدتها كتب الباحثين المحدثين بأنّ بعض هذه المصنّفات ما يزال مجهولا مع ضياع عدد كبير منها و أهمّها:

1) المغني: ثلاثون مجلّدا، خُصّص لشرح كتاب الإيضاح في النّحو لأبي علي الفارسي المتوفي سنة (377هـ) ولا نعرف عنه شيئا أكثر ممّا أشار إليه القدماء من السلف.
2) شرح الفاتحة: وهو من كتبه المفقودة التي أشار إليها المحدثون في كتبهم ويبدو من اسمه أنه كتاب ديني خُصّص لشرح الفاتحة وآيات بيِّنات أخرى، وأنه تطبيق لمنهجه الخاص في التفسير، وشرح لأحوال النّظم في القرآن الكريم.
3) المعتضد: تضمّن شرحا وافيا لكتاب أبي عبيدة محمّد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة(307 هـ) في إعجاز القرآن، وقد سمّاه بعضهم "إعجاز القرآن "ذلك ما ذكره القفطي في انباه الروّاة"وله اعجاز القرآن دلّ على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الإيجاز"[1].
4) الرسالة الشافية: هدف عبد القاهر من هذه الرسالة إثبات إعجاز القرآن للعرب عن معارضته، وهي ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، طبعت في كتاب واحد رد فيها على من زعم أن عجز العرب قد نشأ من أنّهم لا يستطيعون النّظم في مثل القرآن،ولأنّ الله تعالى صرفهم عن مثل ذلك النّظم وردّ على بعض القائلين بالصّرفة.
5) الشرح الصغير: وهو شرح مختصر لكتاب الواسطي ليس له أثر، فُقِدَ مع الكتب الأخرى إلا أنّ اهتمام عبد القاهر بكتاب الواسطي، كان كبيرا دفعه لشرحه مرتين ولتأليف كتاب "دلائل الإعجاز"فيما بعد، وقد سمي أحد هذين الشرحين بالمقتضب، وهو كتاب كبير وسمّي الكتاب الآخر بالشرح الصغير.
6) الإيجاز: إنّ إعجاب عبد القاهر بمؤلفات أستاذه أبي الحسن الفارسي النّحوية جعلته يوجز كتاب"المغني" وشرحه اكثر من مرة، فكتاب الإيجاز هذا ليس إلا كتابا مختصرا لكتاب

[1]– نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص.50.51.

"الإيضاح" الذي جعله في كتابه "المغني" ثلاثين مجلّدا المتعارف عليه بـ "المقتصد" ذكره حاجي خليفة والبغدادي في "هدية العارفين" ومثله كتاب "العوامل المائة" في علم النّحو والتتمة في النّحو.

7) العوامل المائة: يذكر الدكتور أحمد مطلوب أنّ هذا الكتاب من الكتب المتداولة، ومن كتب عبد القاهر المختصرة، تضّمن ما يجب معرفته لطلاّب النّحو من علم في الإعراب جعله ثلاثة أبواب: باب في العامل وآخر في المعمول و باب ثالث في الإعراب، طُبع عدة مرات وأشهر طبعاته المذكورة في (مجموعة مهمات المتون) وله مخطوطات كثيرة في دار الكتب المصرية وفي العراق وفي إيران وفي المتحف البريطاني، ومن هذه الشروح شرح لحاجي بابا الطوسي وحسام الدين،وحسين التوقاني،والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بيطاش[1].

8)-التكملة: ذكره القفطي عندما تحدث عن المقتصد وقال:«المقتصد في شرح الإيضاح، وهو مقتصد من مثله على ما أسماه ، لم يأت في الإيضاح بشيء له مقدار، ولما برع في التكملة لم يقصر بنسبته الى ما عهد منه ولو شاء لأطال» [2]. وسماه الزركلي (بالتتمة) ومنه نسخة محفوظة في المتحف البريطاني.

9)-الجمل : وسمّي هذا الكتاب بالجرجانيات، عبارة عن خمسة فصول،وهو شرح لكتاب العوامل ذكره القفطي في انباه الرواة و قال فيه :« وله شرح كتاب العوامل سماه الجمل، ثم صنّف شرحه فجرى على عادته في الإيجاز» [3].

وما شرح كتاب التلخيص إلاّ شرح لكتاب الجمل، اشتملت هذه الكتب شروحا في النّحو كما الحال في كتابه المقتصد.

---

[1] – نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص.52.51.

[2] – انباه الرواة على أنباه النحاة ،ج. 2.ص.188.

[3] – المصدر السابق، ص.188.

10)- المقتصد: جعله عبد القاهر ملخّصا لكتاب "المغني" في النّحو وهو ثلاث مجلّدات وبمجمله لم يعجب القفطي ، وذكر أن عبد القاهر أتمّه في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقرأه عليه أحمد بن محمّد الشجري، و في دار الكتب المصرية نسخة خطية تحت رقم (1103).

11)-العمدة في التصريف: وهو كتاب بمجمله في التصريف، منه نسخة خطية في مكتبته (لاله) باستانبول ضمن مجموعة من الكتب تحت رقم (3740) ونسخة أخرى في معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية تحت رقم (15) تحدّث فيه عن تصريف الأفعال الثلاثية والمعتل بالفاء ومعتل العين ومعتل العين واللاّم ومعتل اللاّم و المضاعف، ثم الأفعال التي فيها زيادة من الثلاثي، وختمه بفصل مسألة من الأصول التي يجب حفظها.

12)-كتاب في العروض: هو عبارة عن قصيدة ، تضمّنت الأوزان الشعرية، طبعت في ذيل كتاب(الإقناع في العروض وتخريج القوافي) للصّاحب بن عباد سنة (1379 هـ) وحققه ببغداد الشيخ محمّد آل ياسين.

13)-دلائل الإعجاز: اهتم رائد النهضة الإسلامية في العصر الحديث ومفتي الديار الإسلامية ورئيس جمعية العلوم بتدريس مادة البلاغة، في الأزهر الشريف،فأمر بطبع كتابي دلائل وأسرار البلاغة ليكونا مادة للدرس البلاغي طبع دلائل الإعجاز لأول مرة سنة (1321هـ) بعناية السيد محمّد رشيد رضا وإشراف الإمام محمّد عبده، ثم طبع عدة مرات بتحقيق أحمد مصطفى المراغي، والدكتور محمّد عبد المنعم خفاجي وقد سيطرت على الكتاب نظرية النّظم بشتى أقسامها من علوم المعاني[1]، تناول فيه اللّفظ والمعنى والفصاحة والبلاغة وتحرير القول في الإعجاز وغيرها من الموضوعات اللّغوية الهامة، وأثر الكتاب في الدراسات القرآنية و اللّغوية

[1] - نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص. 54.53.

تأثيرا عظيما، وسار على نهجه كل من الزمخشري في كتابه"الكشاف" والسكاكي في كتابه"مفتاح العلوم"والفخر الرازي في كتابه "إعجاز القرآن" والقزويني في شروح التلخيص وآخرون.

وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب هي النسخة التي استحضرها الإمام محمّد عبده من المدينة المنورة وأخرى من بغداد للمقارنة، ذاك ما أكده محمّد رشيد رضا منشىء، مطبعة المنار في الديار المصرية.

14)-أسرار البلاغة : أطلق يوسف السكاكي على موضوعات هذا الكتاب(علم البيان،وهو الكتاب الثاني الذي أقرّه الإمام محمّد عبده مادة لتدريس البلاغة في الأزهر الشريف ، طبعه لأول مرة منشيء المنار في مصر عام (1320ه قيل أن يطبع (دلائل الإعجاز) بسنة استحضرت له نسخة أصلية من طرابلس الشام ،كانت موجودة في أحد بيوت العلم، قورنت بنسخة أخرى كانت موجودة في دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنّية، وطبع الكتاب مرة أخرى الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في مصر سنة (1367ه) أي سنة (1947م) ثم طبع في استانبول سنة (1954م).

وهدف عبد القاهر من كتابه هذا يختلف عن كتابه "دلائل الإعجاز"، ألّفه عبد القاهر لغاية بلاغية بحتة وضّح فيه الأقسام والفصول ووضع القوانين وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية وتناول التشبيه والإستعارة والمجاز والكناية ثم أضاف إليها حديثا لفروع علم البديع مثل السّجع و التجنّيس و التطبيق ،وسار على منهجه الفكري هذا يوسف السكّاكي بتقسيمه موضوعات علم البيان بأنواعه المختلفة.

وإنّ دراسة لفنون البلاغة في هذا الكتاب كانت من أروع ما كتبه، وقد استفاد من كتابه هذا كثير من الباحثين وبعض السّلف أمثال القزويني في شروح التلخيص.

وما يمكن أن يقال في هذا الكتاب أنّ عبد القاهر قد وضع نظرية البيان لأول مرة في تاريخ الباحثين[1].

ثانيا: في الشعر :

يدلّنا التاريخ القديم والتاريخ الحديث على أنّه قلّما يجتمع النّظيم والنّثير لشخص واحد على طريق التقارب أو الاعتدال، فعبد القاهر الجرجاني الكاتب المؤلّف ليس عبد القاهر الشاعر فإذا قيس شعره بنثره ، كان ذا في الثريا وذاك في الثرى ، وإذا ما نظرنا إلى شعره يتضح لنا صدق قولنا ، فمن ذلك قوله الذي يشكو الزمان وأهله :

أَيُّ وَقْتٍ هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ قَدْ دَجَا بِالْقِيَّاسِ وَ التَشْبِيهِ

كُلَّمَا سَارَتْ الْعُقُولُ لِكَيْ تَقْ طَعَ تِيهًا تَوَغَــلَّتْ فِي تِيـهِ[2] .

وقوله في مدح نظام الملك الحسن بن اسحاق :

لَوْ جَاوَدَ الْغَيْثُ غَدَا بِالجُودِ مِنْهُ أَجْـدَرَا

أَوْقِيسَ عَرْفُ عُرْفِهِ بِالمِسْكِ كَانَ أَعْطَرَا

ذُو شِيَمٍ لَـــوْ أَنَّهَا فِي الْمَاءِ مَا تَغَيَـرَا

وَهَمُّهُ لَـــوْ أَنَّــهَا وَ لِلنَّجْمِ مَا تَغَــوَرَا

لَوْ مَسَّ عُودًا يَابِسًا أَوْرَقَ ثُمَّ أَثْمَـــــرَا[3] .

وكذلك قوله :

كَبِّرْ عَلَى الْعِلْمِ يَا خَلِيلِي وَمِلْ إِلَى الْجَهْلِ مَيْلَ هَائِمِ

وَعِشْ حِمَارًا تَعِشْ بِخَيْرٍ فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَـهَائِمِ[4] .

---

[1] – نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص.55.54.

[2] – انباه الرواة على أنباه النحاة ،ج. 2.ص.188.

[3] – المصدر السابق، ص.190.

[4] – المصدر نفسه ، ص.190.

وقوله :

لاَ تَأْمَنْ الْبِعْثَةَ مِنْ شَاعِرٍ مَادَامْ حَيًّا سَالِمًا نَاطِقًا

فَإِنَّ مَنْ يَمْدَحْكُمْ كَاذِبًا يَحْسُنُ أَنْ يَهْجُوَكُمْ صَادِقًا[1] .

وقوله: وقد كتبه في المدخل في أوائل دلائل الإعجاز :

إِنِّي أَقُولُ مَقَالاً لَسْتُ أُخْفِيــهِ وَلَسْتُ أَرْهَــبُ خَصْمًا إِنْ بَدَا فِيهِ

مَامِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِثْبَاتِ مُعْجِزَةٍ فِي النّظم إِلاَّ بِمَا أَصْبَحْتُ أُبْدِيهِ

فَالنّظم كَلاَمٌ أَنْتَ نَاظِـمُـــــهُ مَعْنَى سِوَى حُكْمِ إِعْرَابٍ تُجْزِيهِ[2] .

د- أقوال العلماء فيه :

لقد أعجب المؤرخون بعلمه ودينه وخلقه وأدبه ، واتفقوا جميعا على الثناء عليه فقد ترجموا له واعترفوا بفضله ، فكان لابّد لرجلّ عظيم في العلم والجاه مثل عبد القاهر أن يحظى بمنزلة عظيمة ، ويتصدّر مجالس الدّرس والعلم في جرجان ، كما لقبوه بالإمام واشتهر بالنّحوي من قبل أن يضع علم البلاغة وعلى أنّه كان متكلّما وفقيها ، فمثلا وصفه الحافظ الذهبي بقوله: « كان آية في النّحو ،وكان شافعيا، عالما أشعريا، ذا نسك ودين »[3].

وهو « الإمام النّحوي المتكلّم على مذهب الأشعري ،الفقيه الشافعي ، واضع أسس البلاغة والمشيدّ لأركانها،وفاتح مغلق أبوابها وكاشف خبيئها ،وموضّح مشكلاتها وعلى نهجه سار المؤلفون بعده ، ونهلوا من معينه، واغترفوا من بحره ،وأتّموا البنيان الذي وضع فيه أسسه»[4].

---

[1] – ينظر تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده مصر، ط.1. 1369هـ – 1950م .ص.101.

[2] – المرجع السابق ، ص.101.

[3] – العقد الثمين في تراجم النحويين ،الذهبي،تح:يحي مراد ،القاهرة، دارالحديث ، (د-ط). 2004 م. ص.127.128.

[4] – تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص.100.

ويرجع صاحب هذا التعريف النجاح الباهر الذي حققه عبد القاهر إلى فضل الله عز وجلّ الذي أتاه من قريحة وقادة وعقل فيّاض وقلم سيّال وفكر غوّاص على دقائق المعاني التي خفيت على غيره الأحقاب الطوال.

فعبد القاهر بما أتاه الله، برع في النّحو حتى لقب بالإمام النّحوي وبعد ذلك في البلاغة الذي يعتبر أحد المؤسسين لها إنْ لم نقل مؤسسها بوضعه أسسها وقواعدها ويقول في ذلك صاحب كتاب البحث البلاغي عند العرب : « أوّل من أسّس من هذا العلم قواعده وأوضح براهينه واظهر فوائده ورتب أفانينه الشيخ العالم النّحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني ،فقد فكّ قيد الغرائب بالتقييد وهدّ من صور المشكلات بالتصوير المشيد وفتح أزهارها من أكمامها وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النّصيب والإجزاء »[1].

ووصفه فضل حسن عبّاس بقوله : « شيخ البلاغة،جامع شتاتها ، وعميد بناتها ،ومزيّن بناتها»[2]. فهو يعتبر بحق شيخ البلاغة لأنه واضع أساسها الصّحيح بكتابيه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة ".

[1] – البحث البلاغي عند العرب:أحمد مطلوب ،دار الجاحظ للنشر، بغداد،الجمهورية،العراقية، 1982م. ص.67.68.

[2] – البلاغة فنونها و افنانها: فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان ، الأردن، ط.4. 1417هـ–1997م. ص.19.

ويقول شوقي ضيف في مقدمة كتابه: « وتزدهر هذه المباحث و تونق وتؤتي ثمارها اليانعة على يد عبد القاهر إذ استطاع بعبقريته الفذّة أنْ يضع علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا ، وقد استضاء في أولهما بفكرة القاضي عبد الجبّار، فإذا هو يستكشف لأوّل مرّة هذا العلم وإذا هو يصوغه صياغة تنبض بالحياة، و مضى يجمع ملاحظات سابقيه في علم البيان وأخضعهما لضرب التحليل العقلي والنّفسي البصير،وسوّى منها نظرية مرتبة مفصلة،تضم أجزائها المتفرّقة و تصوّر دقائقها الغامضة»[1].

يفهم من خلال هذا القول أنّ البلاغة نضجت وازدهرت على يد عبد القاهر الذي استفاد ممّن سبقه في هذا العلم من أمثال القاضي عبد الجبار صاحب الفكرة التي انطلق منها عبد القاهر والتي تقول بأن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم يكمن في الأداء والأسلوب والنّسب النّحوية للكلام،واضعا فيها عبد القاهر لمسته الذوّاقة بمنهجه المتفرد عن غيره ،وهو منهج يعتمد فيه على التحليل العقلي والنفسي الذي أنتج نظرية عصره ، وهي نظرية النّظم.

ويقول المحقق " أسرار البلاغة " في مقدمته بأنّ : « ما كتبه عبد القاهر سوف يبقى بإذن الله نبراسا وسراجا منيرا لكل من يسر له الله الإخلاص والهمة والسّعي المصر في طلب الكشف عن بلاغة الألسنة البشرية عامة واللّسان العربي المبين خاصة . وكل من دَبَّ على الدرب وصل بتوفيق من الله وعونه ، والجدّ خليقة تفضي الى مستقر السعادة في الدنيا والآخرة»[2].

و شبَّه ما فعله عبد القاهر «في أسرار بلاغته ودلائل إعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والسلطان العثماني في قوانينه»[3] .

---

[1] – البلاغة تطور و تاريخ : شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، ط.9. 1965م. ص.2.

[2] – أسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني، قراءةوتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر ،دار المدني، جدة .ص.4.

[3] – المصدر السابق ، ص.12.

وأيضا قول السلفي سماعا عن أبا محمّد الأيبوري – في معنى القول –بأنه ما مقلت عينه لغويا وأما في النّحو فعبد القاهر الجرجاني، وهذه حوصلة أقوال العلماء فيه :

– اتفقوا على إمامته وأنّه فرد في علمه الغزير وهو العلم الفرد في الأئمة المشاهير.

– أنّه من كبار أئمة العربية وشيوخها ، ومن علماء المعاني والبيان وأوّل من دوّن علم البيان.

– أنّه مقصد العلماء من جميع الجهات.

– أنّه متدين ورع وقنوع ، دخل عليه لصّ وهو في الصّلاة فأخذ ما وجد وهو ينظر ولم يقطع صلاته.

أ-سبب التسمية :

يقول صاحب مقاييس اللّغة : « الدّال واللاّم أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها والآخر اضطراب في الشيء ، فالأوّل قولهم : دَلَلْتُ فلانا على الطريق والدّليل الإمارة في الشيء ،وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة ، والأصل الآخر قولهم تَدَلْدَلَ الشيء ،إذًا اضطرب »[1].

والدّليل في اللّغة هو المرشد ومابه الإرشاد ، وفي الاصطلاح هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.

والإعجاز في الكلام هو أن يؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عاداه من الطرق.

وبدمج الكلمتين بعضها إلى بعض نخلص إلى أنّ عبد القاهر أراد بهذه التسمية " دلائل الإعجاز " تبيين الوجه الذي يقع فيه الإعجاز في القرآن الكريم.

ويقول صاحب كتاب مدخل إلى البلاغة العربية أنه : « يتضح من عنوان الكتاب أنّ المؤلّف يستهدف البحث في الدلائل والخصائص الموضوعية التي تكشف عن الإعجاز القرآني»[2].

فوجه الإعجاز القرآني حسب عبد القاهر يكمن في النّظم، فتعتبر نظرية النّظم أكبر القضايا المتناولة في كتابه " دلائل الإعجاز " فالنّظم هو البوتقة التي تنصهر فيها الكلمات المفردة وتتداخل معانيها حتى تصبح معنى واحد لا عدة معاني ،كما أنّه المحور الأساسي الذي تدور حوله البلاغة لأنّ الكلام وحدة شاملة يستند بعضه بعضا، فلو أزلنا لفظا عن مكانه هوى البناء من القمة إلى القاعدة ، بالإضافة إلى أنّ هذه النظرية تقوم على الأسس العلمية والحجج الدامغة.

---

[1] – معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،تح:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،ج.2. 1499هـ-1979 م. ص.260.

[2] – مدخل إلى البلاغة العربية: يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ط.1. 1427هـ-2007م .ص.36.

ب-السّبب في تأليفه والهدف منه:

كان الضّعف بدأ يدِّب في أوصال اللّغة العربية، حيث كان الوقوف عند ظواهر قوانين النّحو ومدلول الألفاظ المفردة والجمل المركّبة والانصراف عن معاني الأساليب السّبب الذي جعل عبد القاهر يضع كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " لتكون بداية مرحلة جديدة هي فهم اللّغة العربية.

وقد أشار محقق دلائل الإعجاز في مقدمة الكتاب إلى السّبب أو الأسباب التي جعلت عبد القاهر الجرجاني يؤلف الكتاب، فقد كان يريد بكتابه هذا أن يؤسّس علمًا جديدًا استدركه على من سبقه من الأئمة الذين كتبوا في البلاغة وفي إعجاز القرآن.

وكذلك قوله – في معنى القول- بأنّ عبد القاهر منذ بداية شقّ طريق العلم الجديد الذي أسّسه – يعني به علم البلاغة – كان همّه نقد كلام القاضي عبد الجبار في " الفصاحة " والكشف عن فساد أقواله في مسألة " اللّفظ " ثم بيّن عبد القاهر سبب تأليفه لكتابه بقوله : « إنّ التّوق إلى أنْ تقر الأمور قرارها وتوضع الأشياء مواضيعها والنّزاع إلى بيان ما يشكل، وحلّ ما ينعقد والكشف عما يخفى، وتلخيص الصّرفة حتى يزداد السّامع ثقة بالحجة واستظهار على الشبهة ، واستبانَة للدّليل وتبيُّنا للسّبيل شيء في سوس العقل وفي طباع النّفس إذا كانت نفسا»[1].

كما يظهر حديث مصطفى ناصف عن خلفيات التأليف عند الجرجاني إذ يربطه بالدواعي الدينية و التي عكستها بعض الآراء السائدة في عصر عبد القاهر الجرجاني

[1] – دلائل الإعجاز، ص.34.

فيقول : « لاحظ عبد القاهر أنّ الصّرفة لقيت بعض الرواج في عصره من مثل كلام محمّد بن حزم الظاهري وابن سنان الخفاجي ...»[1]. وهكذا يظهر مفهوم الصّرفة من بين ما دفع الجرجاني نحو تأليف من أجل إظهار رفضه له ولأنصاره.

ويذكر عبد المتعال الصعيدي : « أنّ هذا العلم لقي من الضّيم ما لقي ودخل على النّاس من الغلط في معناه ما دخل، فأراد أن يوفّيه حقه ويقرّر قواعده تقريرا يليق به فوضع فيه هذين الكتابين »[2].

هذه الأسباب وغيرها من الأسباب جعلت عبد القاهر يكون في عجلّة من أمره في تأليف كتابه الذي لم يخضع للتبويب والتقسيم والتصنيف.هذا ما سنتطرق له لاحقا في منهجية الكتاب.

ج- الهدف منه:

سعى عبد القاهر في هذا الكتاب إلى إثبات أنّ بلاغة الكلام تكون في نظمه وأن القرآن معجز بنظمه لا بالصّرفة وأن بلاغة الكلام لا ترجع إلى الألفاظ، وإنّما إلى المعاني ،وإلى العلاقة القائمة بين اللّفظ و المعنى ، وقد جمع في هذا الكتاب بين النزعتين العلمية والأدبية[3] .

فعبد القاهر يرى أنّ بلاغة الكلام في القرآن الكريم،تكمن في نظمه لا بالصّرفة التي تعدّ من بين المفاهيم التي أوجدتها المعتزلة، وقد ردّوا من خلاله بلاغة النص القرآني إلى صرف الله النّاس عن المجيء بمثل هذا النص، وهذا ما نفاه عبد القاهر داحضا رأيهم بحجة القرآن بنظمه

[1] – نظرية المعنى في النقد العربي : مصطفى ناصف، دار الأندلس، ص.28.

[2] – بغية الايضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب و مطبعتها، ج.1.ص.2. (في تقديم الشارح)

[3] – نظرية النظم و قيمتها العلمية، ص.54.

وتأليفه وهذا ما يتضح أكثر من خلال قوله : « إن الوجه الذي وقع به الإعجاز، وتحدوا به العرب هو الإتيان بمثل نظم القرآن الكريم »[1].

فمن وجهة نظر صاحب هذا القول أنّ عبد القاهر حاول إظهار الزاوية التي أثبت فيها إعجاز القرآن والمتمثلة في الجانب اللّساني الأسلوبي مخالفا الطريقة المتبعة من قبل المتكلّمين والمناطقة.

ويعتبر « الأساس الديني هو الحافز لعبد القاهر على أن يكتب ما كتب من هذه البحوث البلاغية التي شرح بها نظريته في النّظم، ودعّمها في كتابه " دلائل الإعجاز " أوّلا ثم في كتابه " أسرار البلاغة " ثانيا، فعبد القاهر في بحوثه البلاغية كان رجلّ دين قبل أن يكون باحثا بلاغيا وهو لم يكتب في البلاغة لذاتها، وإنّما كتب ما كتب خدمة لعقيدة دينية ورغبة في أن يفهم الناس إعجاز القرآن كما ينبغي أن يفهم في رأيه»[2] .

والهدف من تأليف عبد القاهر من خلال هذا القول هو بيان إعجاز القرآن كما فهمه هو ومفهومه هو أنّ إعجاز القرآن في نظمه والذي يريد أن يثبته في أذهان المسلمين والذي : «يراه هو الصراط السوّي الذي ينبغي أن يسلك في فهم إعجاز القرآن»[3] .

فقد بدل كل جهده لتوصيل مفهومه لإعجاز القرآن للمسلمين ، مستهجنا كثيرا من النّاس الذين : « حصروا علم البيان الذي يساعد على إدراك الإعجاز في علم اللّغة وزاد الأمر سوءا إن انتهى الحال بهم إلى أنْ زهدوا في النّحو وفي الشّعر كذلك وهو يرى أن هذين – النّحو و الشعر– هما الدعامتان اللتّان يستند إليهما علم البيان »[4].

---

[1] – دلائل الإعجاز، ص.81.

[2] – نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم: درويش الجندي، مكتبة نهضة، مصر، القاهرة، 1960م .ص.8.

[3] – المرجع السابق ، ص.8.

[4] – المرجع نفسه ، ص.10.

من خلال كل ما تقدم يتضح لنا أنّ هدف عبد القاهر من خلال تأليفه لدلائل الإعجاز هدف ديني محض والمتمثل في بيان الإعجاز في القرآن الكريم ، إذن فمادته الأولى هي القرآن داحضا بذلك آراء معارضيه الذين حصروا علم البيان في علم اللّغة ،ومن تم كان زهدهم في النّحو و الشّعر اللذان يعتبرهما عبد القاهر دعامتان يستند إليهما علم البيان.

ج-مباحثه :

كتاب "دلائل الإعجاز" كتاب عظيم القدر وجلّيل الفائدة ولكن مشاكله متعددة وفيه صعوبة واضحة للدارسين منها : أنّه ألّف هذا الكتاب بدون تبويب وتقسيم وتصنيف ميسور وقد أشار إليه محقق الكتاب في مقدمته بقوله : « كان غريبا عندي أشدّ الغرابة أنّه لم يسر في بناء كتابه سيرة من يؤسّس علما جديدا كالذي فعله سيبويه في كتابه العظيم أو ما فعله أبو الفتح ابن جنّي في كتابه "الخصائص" أو كالذي فعله عبد القادر نفسه في كتاب" أسرار البلاغة "،بل كان عمله وهو يؤسس هذا العلم الجديد مشوبا بحميّة جارفة لا تعرف الأناة في التبويب والتقسيم والتصنيف، وكأنّه كان في عجلة من أمره وكأنّ منازعا كان ينازعه عند كل فكرة يريد أن يجلّيها ببراعته وذكائه وسرعة لمحه، وبقوة حجته ومضاء رأيه»[1].

ويرجع السّبب في ذلك إلى أنّه كتب كتابه هذا في أواخر حياته ، وأنّه كان سيعيد النظر فيه ليجعله في علم جديد اهتدى إليه ،واستدركه على من سبقه ، ولكن اخترمته المنّية قبل أن يحقّق ما أراد ،وكذلك يرجع ذلك إلى العجلة في أمر ما جعلته يبني كتابه هذا البناء العجيب وهذا الأمر في اعتقاده أن طائفة من المعتزلة من أهل العلم في بلدته جرجان ، وفي زمانه كان لهم شغف ولجاجة و شغب وجدال ومناظرة في مسألة " إعجاز القرآن " و اتكئوا في جدالهم على أقوال القاضي عبد الجبّار التي جاءت في كتابه " المغني " وشققوا الكلام فيها فعبد القاهر مستهجن من أهل زمانه خاصة قاضي القضاة المعتزلي عبد الجبار ويظهر ذلك من خلال

[1] – دلائل الإعجاز : مقدمة الكتاب، ص.أ.

قوله: « ثم إنّ وإنْ كنّا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها وتحويل الأشياء عن حالاتها ونقل النفوس عن طبائعها وقلب الخلائق المحمودة إلى أضدادها»[1].

كل هذه الأمور جعلت عبد القاهر يبني كتابه هذا البناء العجيب الذي يفتقد إلى الهيئة الشكلية والمنهجية فهو كتاب لا يخضع للتبويب والتقسيم والتصنيف .

د-منهجيته:

ينتمي عبد القاهر إلى بيئة ثقافية شرقية تتسم بكّل السّمات التي تميز المنهج الفكري في بيئة المتكلّمين من ميل نحو تداخل الأشياء والدقّة في تتبّع الجزئيات داخل نسيج يخضع للتوالد المنطقي المنتظم وهذا لا يخرج عن ركائز المذهب الأشعري الذي ينتمي إلى هذه البيئة ممّا جعله أكثر جريا وراء الجمال الذي يحكمه العقل والمنطق والحجة والبرهان وليس أكثر حجّة ودلالة على جمالية اللّغة وبيانها من الأدلة اللّغوية والدلالية في توجهاتها المختلفة[2] وقد امتاز بدقة الروّية وصواب المنهج ممّا ساعده على تناول قضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في النّظم بعد أن استقطب جميع جوانبه لتصبح نظرية لا تزال الدراسات تؤكّد صحتها على مرّ العصور ولم يكن له ذلك إلاّ لأنه امتلك خبرة لغوية نحوية قائمة على رؤية صائبة بقضايا لا تزال موضع بحث فكانت هذه الخبرة أساسا سليما مهّد لمنهج سليم مكنه من التوصل إلى أعظم النتائج.

وقد اختلف الباحثون في المنهج الذي اتبعه في كتابه، فهناك من يقول أنّه منهج لغوي تحليلي قامت على أساسه نظرة الجرجاني إلى الظواهر البلاغية ، وهناك من يطلق عليه المنهج التحليلي الفني باعتباره منهج يمزج بين القاعدة والذوق الفني ، ويزاوج بين النظرية والتطبيق بحيث لا يطغى فيها أحدهما على الآخر طغيانا بيّنا وذروة اكتمال أدوات هذا المنهج تظهر من خلال : " دلائل الإعجاز " و "أسرار البلاغة" وهذان الأخيران يمثلان في نظر باحثين آخرين منهج عبد القاهر الأدبي النّقدي أصدق تمثيل.

[1] – دلائل الإعجاز : مقدمة الكتاب، ص.أ.

[2] – عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط.3. 1984م. ص.18.

الفصاحة كما يراها عبد القاهر الجرجاني :

كانت مسألة الفصاحة هي الوريد الذي عكس ملامح مناقشة النّظم من قبل الجرجاني ذلك أنّ الفصاحة في نظره لا تتوقف على اللّفظ، بل تشمل المعنى كذلك وهو المعنى المرتبط بقصد المتكلّم لأنّها نظيرة البلاغة ، وقد جعل ميزة الفصاحة دليلا على بلاغة النّص القرآني وذلك بربطها بالنّظم ساعيا في كل ذلك إلى بناء نموذج بلاغي على أساس دلالي في " أسرار البلاغة "، حسب المعاني التركيبية النّظمية المقصدية في " دلائل الإعجاز "[1].

وقد استهل الجرجاني حديثه في الفصول الأولى من كتاب دلائل الإعجاز عن قضية الفصاحة والبلاغة ، كما أنّه ختم الكتاب بفصول طويلة – نوعا ما – تحدّث فيها عن البلاغة والفصاحة والإعجاز ، وبذلك تظهر هذه القضية ذات أهمية بالغة في كتابه إن لم نقل أنّها عموده الرئيسي ، ومن الملاحظ أنه قام بربطها في غالب الأحيان بأمثلة من القرآن الكريم لأنّ أوّل ما تحدى به العرب هو الإتيان بنص فصيح معجز مثله.

يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني أنّ الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وما شابه ذلك ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وإنّما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النّحو فيما بين الكلمة حسب الأغراض التي يصاغ بها ، فقد ربط الفصاحة والبلاغة بالكلام والممّارسة وعلاقته بالأغراض والمقاصد وهذا ما عنون به أحد فصول كتابه إذ يقول :« في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، ممّا يعبّر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »[2] .

[1] – البلاغة العربية أصولها و امتدادها: محمد العريبي، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م .ص.25.

[2] – دلائل الإعجاز، ص.43.

ويظهر من خلال هذه الفقرة التوّجه الجديد الذي صاحب نظرة الجرجاني إلى ثنائية الفصاحة والبلاغة إذ ربطهما بالسياق وما به يحصل النّظم في الكلام ممّا يؤدّي إلى إنجاز الأغراض والمقاصد فيه وفي ذلك إشارة منه إلى دور السياق في نشوء التأليف بين الملفوظات وما به تتحقق الفصاحة و البلاغة في الكلام عن طريق الصياغة التي يتفرد بها المتكلّم،ممّا يجسد حضوره في قوله،وهنا تظهر الذاتية في الخطاب نظرا لتعلّق استعمال اللّغة بالمتكلّم دون واضع اللّغة ،وهذا ما ألحّ عليه الجرجاني بقوله : « نرى اللّفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع و نراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير»[1].

إنّ الأداء الذي يجعل المتكلّم ممتلكا للّغة في الاستعمال يكسب القول مزّية في التواصل وإيصاله إلى درجة الفهم و الإفهام،،يقول الجرجاني عن المزّية: « المزّية التي مِنْ أجلِها نَصِفُ اللّفظ في شأننا هذا بأنه فصيحٌ مزّية تحدثُ مِنْ بَعْدِ أن لا تكونَ وتظهرُ في الكلم من بعد أن يدخُلَها النّظم . وهذا شيءٌ إن أنتَ طلبتَه فيها وقد جئتَ بها أفراداً لم تَرُمْ فيها نظماً ولم تحدثْ لها تأليفاً طلبتَ مُحالاً وإذا كان كذلك وجبَ أن يُعلَمَ قطعاً وضرورةً أن تلك المزّية في المعنى دونَ اللّفظ »[2].

ترتبط الفصاحة والبلاغة بالمتكلّم فتظهر فصاحة المتكلّم في « ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح »[3]. وهذا ما يجعل الحديث في ذلك متوقفا على النظر في القدرة التي يتمتع بها المتكلّم مادام الأمر راجع إلى ملكة يقتدر بها.

وقد تدارك الجرجاني الخطأ الذي وقع فيه أنصار اللّفظ في تقييدهم للفصاحة من جهة اللّفظ دون المعنى ، وذلك يظهر في المزّية التي أحدثها للفصاحة من جهة المعنى وهذا المعنى

---

[1] – دلائل الإعجاز ، ص.401.

[2] – المرجع السابق ، ص.401.

[3] – الايضاح في علوم البلاغة: القزويني، شرح و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني،بيروت ط.5. 1980م.ص.72.

إنّما يكون معنى المتكلّم فهو الذي ينشئه انطلاقا من المعاني النّفسية ليقوم بصياغتها في مرحلة ثانية عبر بنية قولية تظهر في النّظم الذي يتوخى فيه معاني النّحو بين الكلِم.

ومن هذا نقرّ بأنّ الجرجاني –كما أقرّ هو نفسه– ربط مزّية الفصاحة بمعنى المتكلّم دون واضع اللّغة وفي ذلك يقول : « قد علمنا علما لا تعترض معه شبهة أنّ الفصاحة فيما نحن منه عبارة عن مزّية هي بالمتكلّم دون واضع اللّغة »[1].

ويذهب نصر حامد أبو زيد في رأيه عن الجرجاني إلى أنّ هذا الأخير يقوم على تصوّر أسبقية المعاني الذهنية على الدلالات الصوتية « فالمعاني تعرف أوّلا ثم يتواضع أهل اللّغة على الأصوات للدلالة على تلك المعاني الذهنية »[2].

يظهر لنا أن هناك إشارة من الجرجاني إلى الفكر واللّغة فعن طريق الفكر تتولد المعاني.

لقد تفطّن الجرجاني إلى الإنجاز الذي يتعلّق بالمتكلّم وذلك من منطلق استعماله للغة المتواضع عليها استعمالا يجعله ينطلق من المعنى كبنية داخلية ويعتبرها معاني نفسية، تخرج إلى السطح في هيئة منظومية تظهر في تعلّق الكلم بعضها ببعض ،ومن ذلك تحصل مزّية الفصاحة في القول بخروجه من سطحيات اللّفظ إلى أعماق المعنى هذا الأخير الذي ينطلق من أعماق النفس باعتبارها منشأ القول ، ونستشهد بنص طويل للجرجاني يتبيّن فيه كيف أنّ المتكلّم لا يخرج عن أوضاع اللّغة المتعارف عليها ولكنّه يتفرّد بخصوصية النّظم الذي يجعله يتفرد بالمعاني التي تكسب القول مزّية الفصاحة فيقول : « وإذا كان كذلك ، فينبغي لنا أنْ ننظر إلى المتكلّم هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللّفظ شيئا ليس هو له في اللّغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزّية يعبر عنها بالفصاحة ؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللّفظ شيئا أصلا ، ولا أن يحدث فيها وصفا – كيف ؟ وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون

[1] – دلائل الاعجاز ، ص.401.

[2] – اشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط.6. 2001م. ص.77.

متكلما لأنّه لا يكون متكلّما حتى يستمعل أوضاع لغة على ما وضعت عليه وإذا ثبت من حاله أنّه لا يستطيع أنْ يصنع من الألفاظ شيئا ليس هو له في اللّغة، وكنّا قد اجتمعنا على أنّ الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزّية هي المتكلّم البتّة وجب أن نعْلَم قطعا وضرورة أنّهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللّفظ فإنّهم لم يجعلوها وصفا له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان ، ولكنّهم جعلوها عبارة عن مزّية أفادها المتكلّم في المعنى بأنّه إذا كان اتفاقًا، ولم نره في اللّفظ شيئا لم يبقى إلا أنْ تكون عبارة عن مزّية أفادها في المعنى »[1].

وما يمكن ملاحظته أيضا عن كلام الجرجاني أنّه ربط معنى المتكلّم بالإفادة لأنّ النّظم الذي يقوم على المعنى أكيد أنّه سيؤدّي فائدة من المتكلّم إلى المخاطب.

ونجد الجرجاني في موضع أخر يؤكّد هذا الرأي في أهمية النّظم لحصول الفائدة من القول وذلك التأكيد انطلق فيه من رأي معارضيه (أنصار اللّفظ) والذي يرى فيها تناقضا بين الرّأي الظاهر والخفّي و ذلك من خلال قولهم : « أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنّما تظهر بالضّم على طريقة مخصوصة»[2] .ويوضّح الجرجاني التناقض الذي وقعوا فيه :« فقولهم بالضّم لا يصّح أن يراد به النطق باللّفظة بعد اللّفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما»[3]. وضرب لنا مثالا يوضح هذا القول فمثلا لو صّح قوله هذا بضمّ اللّفظة إلى اللّفظة بإبعادهم المعنى لصّح ضمّ كلمتا "خرج" و"ضحك " وعددناهما نظما فصيحا فإذا بطل ذلك بطل قولهم. وقولهم على طريقة مخصوصة كذلك يستند على اللّفظ والمعنى معا « فإذا أنت تأمّلتهم تراهم

[1] – دلائل الاعجاز، ص.402.

[2] – المصدر السابق ، ص.394.

[3] – المصدر نفسه، ص.394.

في الجمع قد دفعوا إلى جعل المزّية في معاني النّحو وأحكامه من حيث لم يشعروا ، ذلك لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج منه »[1].

ويظهر عامل السياق بين الألفاظ ذا أهمية في بلوغ المعنى في حين تتبعها الجرجاني محاولا الكشف عن مضمرات كلامهم التي أغفلوا قيمتها.

وترجع الأقوال السابقة التي لخصها عبد القاهر إلى القاضي عبد الجبار، هذا الأخير الذي قال كذلك: « إنّ المعاني لا تتزايد وإنّما تتزايد الألفاظ»[2]. وقد عاب عليه عبد القاهر قوله بقوله : « وهذا الكلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه ، غير أن تجعل (تزايد الألفاظ) عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النّحو وأحكامه فيما بين الكلم لأنّ التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال»[3].

كما ربط الفصاحة بالمتكلّم والكلام ،فمن جهة ارتباطهما بالمتكلّم يظهر قول الجرجاني عنها أنّ : « الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مزّية هي بالمتكلّم البتّة »[4]. فهو الواضع للمعنى في الكلام بحسب استعماله للغة وأمّا ارتباط الفصاحة بالكلام ففيه تحدث وبه تكون بارزة بالتفاعل الذي يكسبه النّظم للألفاظ لتحقيق المعاني وبذلك فهي مرتبطة بالمعنى دون اللّفظ وما هذا الأخير إلاّ واسطة للوصول إليها وفي ذلك نجده يقول : « وجملة الأمر إلا توجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكن نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها»[5].

[1] – دلائل الاعجاز، ص.395.

[2] – المصدر السابق ، ص.395.

[3] – المصدر نفسه ، ص.395.

[4] – نفسه ، ص.302.

[5] – نفسه، ص.402.

وقد قسّم الجرجاني الكلام الفصيح قسمين: قسم تحرى المزّية فيه والحسن إلى اللّفظ وقسم يتحرى فيه إلى النّظم : « فالقسم الأول " الكناية " و " الاستعارة " و " التمثيل الكائن على حدّ "الاستعارة" ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللّفظ عن الظاهر فما من ضرب من هذه الضروب إلاّ وهو إذا وقع على الصّواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزّية»[1]. وضرب لنا أمثلة فمثلا قولنا : "هو كثير رماد القدر " كان له موقع وحظ من القبول لا يكون في قولنا : هو كثير القِرى والضيّافة " وكذلك قولنا : " هو طويل النّجاد " أفضل من قولنا هو " طويل القامة " فالوصف في العبارة الأولى له تأثير في النّفس أكثر من الوصف في العبارة الثانية أو أبلغ منه ويقول بأنّ من لا يؤمن بهذه المزّية إلا عديم الحس ميّت النّفس ثم يرجع و يشرح المثال الأول "هو كثير رماد القدر" فيقول أنّ من خلال قولنا "هو كثير رماد القدر " وعرفنا أنهم أرادوا كثير القرى و الضيافة ،لكننا لم نعرف ذلك من خلال اللّفظ، بل إنّنا عرفناه من خلال أنفسنا فالعرب عندما تمدح أحدا مضيافا تصفه بهته الصفة فكثرة الرماد تدّل على نصيب القدور الكثيرة و هذه القدور فيها طعام القرى و الضياف، وذلك أنّه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب الذي يَنتُج عنه كثرة الرّماد لا محالة.

فالفصاحة تقع في الكلام و الكلام هو ممّارسة اللّغة في الاستعمال، وهذا ما يؤكّد فرضية الجرجاني حين تنّبه إلى أنّ الفصاحة لا تقع في أوضاع اللّغة، وإنّما تكون عن طريق المعاني التي تنطلق من المعاني النفسية للمتكلم، وتمر عبر بنية منجزة هي الكلام، وكأنّ هناك سيرورة بين اللّغة والمعنى و المتكلّم و الكلام «وبما أنّ كل خطاب مؤلّف من كلمات لغوية فإنّ اللّغة التي هي أداة للتواصل بين الناس وللتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم هي التي ينبغي أنْ تخضع للتأويل»[2].

[1] – دلائل الاعجاز، ص.430.

[2] – اتجاهات التأويل النقدي من الكتوب إلى المكبوت، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق. 2008م .ص.69.

وبذلك فإنّ النظر في الفصاحة (فصاحة اللّفظ) يكون من جهة موقعه في الكلام و تفاعله في سياق النّظم، ومن هنا نفى عبد القاهر أن تكون الفصاحة صفة في اللّفظ محسوسة «لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم يكونه فصيحا وإذا بطل أن تكون محسوسة، وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإنّا لا نعرف للّفظة صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلاّ دلالته على معنى، وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأنّ وصفنا اللّفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه،لا من جهة نفسه، وهذا ما لا يبقى لعاقل معه عذر في الشّك»[1].

وهذا لا يعني أنّ الجرجاني قد ألغى "فصاحة اللّفظ" إطلاقا، فقد اعترف له ببعض المزّية في مواطن قليلة، ومن الأدلة التي ساقها أنّ القول بفصاحة اللّفظ في ذاته يقتضي من جهة العقل: «وأن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكلّ حال»[2] .وألاّ تتغير قيمة اللّفظ الفنّية بتغير السياق الذي ترد فيه في حين أنّ نفس الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر»[3].

وقد حاول تأكيد حكمه بالاعتماد على شواهد شعرية تكرّرت فيها نفس الكلمة مع فارق في التأثير « إلا أنّ أحكامه جاءت انطباعية لا تستند إلى معطيات ملموسة، والأرجح أنّه اهتدى فيها بآراء النقّاد السابقين»[4].

ومثال ذلك لفظ "الأخدع" فإنّ لها في قول البحتري :

---

[1] – دلائل الاعجاز، ص.407.

[2] – المصدر السابق، ص.307.

[3] – المصدر نفسه، ص.34.

[4] – التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس:حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981م .ص.467.

وَإِنِّي وَ إِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ العُلاَ وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذِلِّ المَطَالِعِ أَخْدَعِي[1] (الطويل)

ما لا يخفى من الحسن، أمّا في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ[2] (المنسرح)

فلها من الثقل على النفس والتنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة و الإيناس و البهجة.

وممّا قدمه كمثال عن قمة الفصاحة في النّظم والمعنى أنّ الفصاحة الواردة في قوله تعالى: ﴿ **وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ **[مريم- 4]**، تكون من بعد انتهاء الكلام على آخره، ولا تقصر على اللّفظ المفرد "اشتعل"

وقد اتبع الجرجاني في انتصاره لمزّية الفصاحة في التركيب أسلوب الاستدلال وهو الإتيان بحجة الخصم ثم دحضها بحججه، فيظهر تحليله للآية " وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " تركيزه جهة الفصاحة على أثر السياق في الآية مع الألفاظ المجاورة لها «فإذا قلنا في لفظ "اشتعل" من قوله تعالى "واشتعل الرأس شيبا" أنّها في أعلى رتبة الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لوحدها ولكن موصولا بها الرّأس معرّف بالألف واللاّم ومقرونا إليهما (الشيب) منكر منصوبا»[3].

ربط الجرجاني الفصاحة بأمور معنوية تظهر هيئة الضمّ والتأليف بين الألفاظ وإنّه تأليف متعلّق بقصد المتكلّم.

وفي ذلك حلّل عبد القاهر نماذج من القرآن والشعر يبيّن هيئة الفصاحة من جهة الرّابط المعنوي والذي يظهر في معاني النّحو بتعلّقها بالقصد، ففي تحليله للآية { يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدّو فاحذرهم} أشار إلى الأمور المعنوية التي أدّت إلى الفصاحة في الآية فيقول: « وسبب الفصاحة فيها أمور لا يشك عاقل في أنّها معنوية : أوّلها أنْ كانت (على) فيها متعلّقة

[1] – ديوان البحتري،"المجلد الأول"، دار صادر، بيروت .ص.106.

[2] – ديوان ابي تمام،ضبط و شرح:شاهين عطية،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط.3. 1424هـ-2003م.ص.198.

[3] – دلائل الاعجاز، ص.402.403.

بمحذوف في موضع المفعول به الثاني، والثاني :أن كانت الجملة والتي هي (هم العدو) بعدها عارية من حرف العطف، والثالث: التعريف في (العدّو) وأن لم يقل (هم عدو) ، ولو أنّك علّقت (على) بظاهر وأدخلت على الجملة التي هي (هم العدّو) حرف العطف و أسقطت (الألف واللاّم) من (العدّو) فقلت: (يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو) لرأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها، ولو أنّك أخطرت ببالك أن يكون (عليهم) متعلّقة بنفس (الصيحة) ويكون حاله معها كحاله إذا قلت (صحت عليه) لأخرجته عن أن يكون كلاما، فضلا عن أن يكون فصيحا، وهذا الفيصل لمن عقل »[1].

يتضح من خلال هذا القول أهميّة معاني النّحو في نشوء فصاحة القول، وجعله في زمرة الكلام وفي ذلك يؤكّد عبد القاهر على أنّه ليس كل ما يقال يحمل على سمة الكلام وإنّما اشترط فيه الفصاحة، وهي تنجز بتوخي معاني النّحو وحصول النّظم، وبذلك يكون الجرجاني قد أدرك أهمية الاتساق النصّي وهو يدخل ضمن الدرس اللّساني المعاصر في مجال اللّسانيات النصّية والاتساق يظهر في روابط نصية تكون ظاهرة كما تكون معنوية تساهم في نصّية النصّ، هذا التعليق الوارد في القول والذي يكسبه فصاحة وبلاغة وإنّما يكون بفعل حضور المعنى النّحوي وهو معنى يستدعي نشاطا ذهنيا لدى طرفي التخاطب.

[1] – دلائل الاعجاز، ص.403.404.

الحمد للّه الذي تتّم بنعمته الصّالحات ، و الصّلاة و السّلاَم على من جاء بخاتمة الرّسَالات وعلى آله وصحبه و أزواجه الطّاهرات وبعد :

فقد خلصنا من خلال بحثنا هذا إلى عدّة نتائج أهمُّها :

- أنّ الفصاحة في اللّغة هي البيان و الظهور الذي هو ضدّ اللّبس و الغموض .
- أنّ الفصاحة اختُلف في مفهومها بين النّحّاة القدماء و المحدثين و كذلك اختلاف القدماء أنفسهم في مفهومها ، فهناك من يرى بأنّها خاصة باللّفظ ، وهناك من يرى أنّها خاصة باللفظ والمعنى معاً و يراها المحدثين بأنّها صفة توصف بها الكلمة و الكلام والمتكلم .
- مصطلح الفصاحة لم يظهر إلاّ مع بداية الفصل بين اللفظ والمعنى .
- اختلاف تقسيم أنواع الفصاحة عند المتقدمين و المتأخرين ، فالمتقدمون كابن سنان الخفاجي قسمها قسمين : مفرد و مركب ، أمّا المتأخرون أمثال القزويني فقسموها إلى ثلاثة أقسام : فصاحة الكلمة (المفرد) ، فصاحة الكلام ، فصاحة المتكلم .
- ابن جنّي جعل الفصاحة مقياسا للأخذ و السمّاع .
- ابن جنّي كان مولعا بالقياس و كثير الأخذ به .
- القياس يكون على الأكثر استعمالا و الأجود و الأصحّ لغة و الأوسع رواية .
- اللّغة الحجازية هي اللّغة المفضلة عند ابن جنّي لأنَّها لغة القرآن الكريم التي تنزل بها .
- إذا انتقل اللّسان العربي من لهجة إلى أخرى فصيحة وجب الأخذ بها .
- يعتبر ابن جنّي الفصاحة الشّرط الوحيد للأخذ بكلام العرب .
- ابن جنّي يمنع الأخذ عن أهل المدر لاختلال لغتهم و فسادها .
- جعل ابن جنّي الفصاحة الفيصل في الحكم على العربي .
- الفصاحة في تصوّر ابن جنّي هي البيان و الابتعاد عن فساد اللّغة و اضطراب الألسن .

- حاول عبد القاهر الجرجاني منذ بداية كتاب " دلائل الإعجاز " أن يبّين موقفه من الفصاحة ومقاييسها ، ولم يكتف بعرض آرائه الخاصة ، بل تصدى لنقد كلّ آراء من سبقوه ، سواء كانت آراء اللّغويين أو آراء المتكلمين ، ويمكن إجمال نظرته إلى الفصاحة في النقاط التالية :
- عبد القاهر الجرجاني أوّل من استخدم مصطلح الفصاحة ، وبالرّغم من جعلها علما إلاّ أنه رفض أن يكون لها مقياس محدّد ، بل يحتاج فيها إلى تحقيق وتدقيق بتفصيل القول فيها ، وبوضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم .
- يرى عبد القاهر أنّ الألفاظ خدم وتبع للمعاني لأنّها تدرك بالفعل لا بالسّمع ،وعلى ذلك فإنّ المعنى أحد مقاييس الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني .
- عبد القاهر لا يفصل بين مفهومي الفصاحة و البلاغة وما شاكل ذلك .
- عبد القاهر لاينكر فصاحة اللفظ ، بل يعتبر أنّ صحة المعنى لا تتأتّى إلاّ باختيار اللّفظ الملائم له .
- ربط عبد القاهر " الفصاحة " بالمتكلم والكلام .
- الجرجاني يركّز على دور المتكلّم في بناء الجملة ، إذ نجده يتناول النّظم من حيث هو عمل لغوي ، صادر عن المتكلّم ، ولهذا جعل نقطة الانطلاق في دراسة بناء الجملة من المعنى لا المبنى .
- الجرجاني يردّ مزية الفصاحة في الكلام إلى المتكلم لا إلى واضع اللّغة .
- رَدْ الجرجاني الفصاحة من جهة الكلام ، باعتبار هذا الأخير يتجسّد في طريقة نظمه ، لهذا فإن الاهتمام بالنّظم و رعايته هو السبيل إلى حصول الإقناع في القول أو الخطاب عامّة ، وهذا ما سعى إلى تبيانه من خلال التطرّق إلى الإعجاز في القرآن من جهة نظمه ، وهو ما أكسب النّص القرآني أعلى درجات البلاغة و الفصاحة ، فاقت قدرات العرب بالرغم من كونهم قوم فصحاء بلغاء .
- تقسيم عبد القاهر الكلام الفصيح قسمين :

1) – قسم تعزى المزّية والحسن فيه إلى اللفظ .

2) – قسم يعزى ذلك فيه إلى النّظم ، هذا يعني أنّ عبد القاهر لم ينكر قط " فصاحة اللفظ " ، ولكنّه لم يرد أن يفسر الإعجاز بها .

- فصاحة " النظم " تتضح من خلال تأكيده على أنّ الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات ، بل تكون فيها إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض ولا يكون ذلك إلاّ من أجل معانيها لا من أجل نفسها .

و في الأخير نسأل المولى القدير أن يتجاوز عن جلّ تقصيرنا فيما أسلفنا من عمل و أن يوفقنا إلى مزيد من التعمّق في محيط العربية الواسع و الذي لا يستوعبه إلاّ نبيّ مرسل و أن يكون هذا البحث قَطْرا من غيث في زراعة ثقافة – و لو بسيطة – عن الفصاحة .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش .

المعاجم :

1-القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ، لبنان ، ط.8،(د.س) .

2- لسان العرب ، إبن منظور ، ضبط وتحقيق : خالد رشيد القاضي ،دار الصبح و إيديسوفت لبنان ط.1 ، 1427هـ-2006 م.

3- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط. 1 .1411هـ-1991م .

4-مقاييس اللغة العربية ، أبي الحسن أحمد بن فارس زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمّد هارون دار الفكر .1499هـ-1979م .

المصادر والمراجع :

5- إبن جنّي عالم العربية ، حسام سعيد النعيمي ، دار الشروق الثقافية العامة ، بغداد ، ط.1 1999م .

6- اتجاهات التأويل النقدي من الكتوب إلى المكبوت، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.2008م.

7- أسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني، قراءةوتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر ،دار المدني،جدة.

8- اشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط.6. 2001م.

9- الأصول البلاغية في كتاب سبيويه وأثرها في البحث البلاغي ، أحمد سعد محمد ، مكتبة الآداب. ط.2 ، 1430 -2009م .

10- الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، تمّام حسّان،هيئة الكتاب، 1982م.

11- أضواء على أثار إبن جنّي ، غنيم بن غانم الينبغاوي ، جامعة أم القرى ، مكتبة الملك فهد الوطنية ط.1 .1999م.

12- الإقتراح في علم أصول النّحو للسيّوطي ، قراءة وتعليق : محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، (د .ط) . 2006م .

13- إنباه الرواة على أبناه النّحاة ، القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط.1 ، 1406 هـ-1986م .

14- الايضاح في علوم البلاغة: القزويني، شرح و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط.5. 1980م.

15- أئمة النحاة في التاريخ المحمود غالي ، دار الشروق ، نجدة ، السعودية ، ط.1 1396هـ-1976م

16- البحث البلاغي عند العرب:أحمد مطلوب ،دار الجاحظ للنشر، بغداد،الجمهورية،العراقية،1982م.

17- بغية الايضاح لتلخيص المفتاح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب و مطبعتها.

18- بغية الوعّاة السيّوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ط.2 ، 1399هـ -1979م .

19- البلاغة العربية أصولها و امتدادها: محمد العريبي، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م .

20- البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي:عبد العاطي غريب،دار الجيل بيروت، ط.1. 1993م.

21- البلاغة تطور و تاريخ : شوقي ضيف، دار المعارف ، القاهرة ، ط.9. 1965م.

22- البلاغة فنونها و افنانها: فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان ، الأردن، ط.4. 1417هـ-1997م.

23- البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، إشراف : محمد علي مكي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، ط.1 ، 1994م .

24- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر ، ط .7 ، 1418هـ -1998م .

25- تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده مصر، ط.1. 1369هـ - 1950م .

26- تراث إبن جنّي اللّغوي والدرس اللّساني الحديث ، دي سوسيرنمودجا ، بلمليان بن عمر ، ديوان المطبوعات ، بن عكنون ، الجزائر ،2006 م .

27- التراكيب النّحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، صالح بلعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .1994م .

28- التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس:حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981م .

29- الخصائص ، إبن جنّي تح : محمّد علي النجّار ، دار المكتبة العلمية ، القاهرة ، ط.2 1371 هـ-1952م .

30- دلائل الإعجاز ، عبد القادر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط.5 ، 2004م .

31- ديوان ابي تمام،ضبط و شرح:شاهين عطية،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط.3. 1424هـ-2003م.

32- ديوان البحتري،"المجلد الأول"، دار صادر، بيروت.

33- سر صناعة الإعراب ، إبن جنّي ، تحقيق : حسن الهنداوي ، دار القلم ، دمشق ط.2 1993م .

34- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها ، الرازي ، مكتبة المعارف ، بيروت ط . 1 .1993م .

35- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط.3. 1984م.

36- العقد الثمين في تراجم النحويين ،الذهبي،تح:يحي مراد ،القاهرة، دارالحديث ، (د-ط). 2004 م.

37- علم أصول النحو ومصطلحاته في كتاب الخصائص لإبن جنّي ، سليم عواريت ، دار غزناطة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010م .

38- الفسر، إبن جني تح : رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، ط.1 1976م .

39- فوات الوفيات: محمد الكتبي .ج.1. ص.297. بغية الوعاة: السيوطي، ص.177 شذرات الذهب: ابن العماد .

40- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط.3 1988م

41- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط.2.(د.ت) .

42- اللّغة العربية معناها ومبناها ، تمّام حسّان ،دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ،1994م .

43- مدخل إلى البلاغة العربية: يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان، ط.1. 1427هـ-2007م.

44- مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يقصر من حوادث الزمان: ابو محمد عبد الله المكي،بيروت ،لبنان .

45- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، حامد صالح خلف الرّبيعي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ،1416هـ - 1996م .

46- المنصف ، إبن جنّي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط.1 ، 1419هـ 1999م .

47- نظرية المعنى في النقد العربي : مصطفى ناصف، دار الأندلس.

48- نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني: وليد محمد مراد،دار الفكر، دمشق، سورية ط.1. 1403هـ-1983م.

49- نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم: درويش الجندي، مكتبة نهضة، مصر، القاهرة 1960م.

المحتوى	الصفحة
مقدمة	– أ –
تمهيد : في العلاقة بين النحو و البلاغة	– 9 –
الفصل الأول : مفاهيم أولية في الفصاحة	
أ) – لغة	–17–
ب) – اصطلاحا	–18–
ج) – أنواع الفصاحة	–26–
الفصل الثاني : الفصاحة عند أبو الفتح ابن جنّي	
أولا : أبو الفتح ابن جنّي	
أ) – ترجمة حياته	–36–
ب) – ثقافته و علمه	–39–
ج) – مؤلفاته و آثاره	–40–
د) – أقوال العلماء فيه	–44–
ثانيا : كتابه الخصائص	
أ) – سبب التسمية	–47–
ب) – السبب في تأليفه و الهدف منه	–48–
ج) – مباحثه	–49–

د) – منهجيته -50-

ثالثا : الفصاحة كما يراها ابن جنّي -53-

الفصل الثالث : الفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني

أولا : عبد القاهر الجرجاني

أ) – ترجمة حياته -72-

ب) – ثقافته و علمه -73-

ج) – مؤلفاته و آثاره -74-

د) – أقوال العلماء فيه -80-

ثانيا : كتابه دلائل الإعجاز

أ) – سبب التسمية -85-

ب) – السبب في تأليفه و الهدف منه -86-

ج) – مباحثه -87-

د) – منهجيته -89-

ثالثا : الفصاحة كما يراها عبد القاهر الجرجاني -92-

خاتمة -102-

قائمة المصادر و المراجع -107-

فهرس الموضوعات - 111-